روايات غادة

غادة

حُلم ليلة باردة

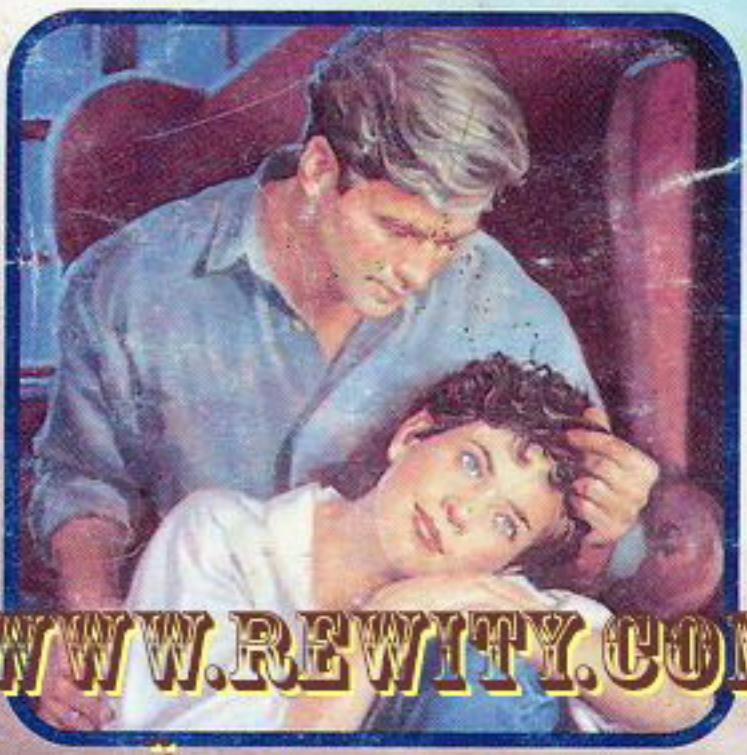

WWW.REWITY.COM

مرمورية

دار الجيل
بيروت - لبنان

روايات غادة

حلم ليلة باردة

مـاري بـر وكس

حلم كان يراود ليوني وايلد في ليالي الشتاء الباردة . . . هي في غـرفة دافئة، مع غريب في الظل لا ترى وجهه . مع ذلك فهي راضيـة تحس أنها تنتمي إلى ما يحيط بها . وتستيقظ فجـأة، ترتجف، لا من الـبرد، ولا من خوف، بل من حنين إلى تحقيق هكذا حلم .

وظهر الغريب في حياتها . . لكن داغـون كابـريل، أقـرب ان يكون غجـرياً متـوحشاً، من أن يكـون رجل أحـلامها . . وكـرهتـه منـذ أول لحظة، كرهته أكثر حين اكتشفت انه يشاركها في حب جـدتها التي طـالما تعلقت بها . أيمكن لهذا الغريب أن يصبح ذلك الغريب في الظل ؟

يطلب من مكتبة الصفاء
ابو ظبي
تلفون ٧٧٢٠٥٣

يطلب من دار إحياء العلوم
الدار البيضاء
تلفون 319411

يطلب من شركة دار الفكر
تونس
تلفون 564785

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الظمني للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٨٩٩

١٠

من هو هذا الغريب؟

كان رجلاً ضخماً، قاسي المظهر. . يمكن أن يكون غجرياً بهذا المنديل الأحمر الذي يلفه على عنقه، والقميص الأزرق المضلع بتربيعات، والجينز الكحلي الضيّق. لكن ليوني وايلد، لم يكن يهمها ما، أو من، هو، فهو يبدو وكأنه على وشك ان يقطع شجرة، وهي لم تشاهده من قبل، ومن الواضح انه متعدٍّ على أرض جدتها الكبيرة. . وهذا يكفي :

ماذا تظن نفسك فاعل بحق الجحيم ؟

وصفقت باب سيارتها الموريس البيضاء وتوجهت عبر الطريق الداخلية إلى حيث يقف الرجل قرب الأشجار. . فاستقام في وقفته، ونظر إليها، وللحظات طويلة ظنته لن يرد عليها، كان يحدق بها فقط. . فردت إليه نظرته المحدقة وكررت :

ـ سألتك ماذا تفعل .

هز الرجل رأسه وأجاب بصوت عميق كسول :

ـ سمعتك . . . وما شأنك في هذا؟

لهجته لم تكن تحمل عجرفة، بل كانت لهجة أمر واضح . وكأنه معتاد على ان تتحداه الفتيات الغاضبات، لكنه لا يهتم لهن البتة، كما ان لكنته كانت غريبة، غير مألوفة .

تنفست ليوني عميقاً، ثم ردت ساخطة :

ـ بل أن لي شأن كثير . فأنت أول أي شيء متعدٍّ على أملاك الغير، وثاني الأشياء لا أحد يقطع الأشجار هنا . .

قاطعها ليسكتها بكفاءة :

ـ متعد على أملاك الغير؟ وكيف تعرفين هذا ؟

لم تكن ليوني معتادة على ان يقاطعها أحد . . انها عادة من تحوّل من تتكلم معه إلى مربوط اللسان، عرضة للهزء، مشوش التفكير، بمجرد النظر إليه . . والسبب أنها جذابة بشكل مدمر، وتعرف هذا . كما انها طويلة جداً . . لكن الرجل كان أطول منها، وهذا ما سبب لها قليلاً من القلق، وتمنت لو أنها كانت ترتدي حذاء بكعبين مرتفعين، مع ان هذا لن يشكل اختلافاً، فسيبقى أطول منها بكثير. وردت بهدوء :

ـ لأن هذه الأرض ملك لجدتي الكبرى .

ـ آه! فهمت . . إذن . . لماذا لا تدخلي وتسألي جدتك ماذا يفعل ذلك الرجل الغريب بتقطيع أشجارها . . عندها قد تجدين ما إذا كنت متعدياً أم لا . .

ـ وأتركك هنا لتنفذ بفعلتك؟

هز كتفيه :

ـ حسناً . . سأدخل معك .

الأمر الذي أدركت بعد لحظة انه ينوي فعله تماماً حين التقط معطفه ووضعه على أكتافه، ثم نظر إلى سيارتها :

ـ سأذهب سيراً . . فلن أتوقع منك عرض توصيلي إلى المنزل .

استدار عنها ليتجه بخطوات واسعة نحو المنزل . . وبقيت ليوني مكانها تراقبه، وقد سادها الارتباك لأول مرة في حياتها الراشدة تقابل رجلاً تصرف معها بشكل لم تتوقعه . . وهذا كان له تأثير ساخط عليها . . بماذا تفكر الجدة وايلد باستخدامها رجلاً كهذا؟ يبدو أن حضورها إلى هنا أمر جيد!

حين وصلت المنزل، لم يكن بابه الأمامي موصداً ولم يكن ليوصد أبداً . . دخلت ليوني الردهة، ليغلفها عطره القديم المألوف، فتنفست عميقاً، لتنسى الغريب المزعج للحظات . رائحة الصوف، وأزهار الربيع وتلك النكهة غير المحددة المعالم والتي لا يحصل عليها المرء إلا في الأراضي الريفية الشمالية المرتفعة، على سفوح جبال پنايليز الشمالية الشرقية . . انها نكهة لا زالت موجودة، وستبقى على ما هي دائماً . . انها في موطنها ثانية .

ـ جدتي . . أنا هنا . .

ـ ليوني أنا في غرفة الجلوس . . ادخلي يا عزيزتي . .

دخلت ليوني لتحتضن الجسد الصغير المليء للمرأة الجالسة على صوفا ضخمة قرب النار . . ثم تراجعت واقفة، وقالت :

ـ كم رائع أن أراك ثانية جدتي . . ماذا تعني بإخافتنا هكذا؟ لماذا أرسلت تطلبيني؟ تبدين بصحة جيدة!

وأخذت تنظر إلى جدتها الكبرى بعطف ومحبة .

ـ آوه . . لقد أصبحت كبيرة في السن . . ولن يطول الأمر الآن . .

ـ كلام هراء! لماذا لا تعترفي انك تحبين الرفقة من وقت إلى آخر؟ لكنك تعلمين انني أحب زيارتك . .

لمعت عينا الجدة وايلد بخبث :

ـ حسن جداً . . تعالي واجلسي إلى جانبي ، واخبريني ماذا كنت تفعلين في تلك المدينة اللعينة . سأطلب من دورين إحضار الشاي بعد قليل . . لكن أولاً أريد معرفة كيف صحتك؟ وكيف حال أخويك العديمين المنفعة؟

ـ أنا بخير، وكذلك ايربي وريتشارد . . لكن هناك مشكلة طفيفة . . ألديك شخص جديد يعمل لك هنا؟

اتسعت عيني العجوز :

ـ لماذا؟ لا يا عزيزتي . . ماذا تعنين؟

انفتح الباب وقال صوت عميق هادىء، أصبح مألوفاً لها، ببطء .

ـ أظنها تعنيني سيدة وايلد .

نظرت الجدة إليه وبدأت تضحك .

ـ هاكما! لقد التقيتما إذن؟ أليس هذا أمر لطيف؟ تعال واجلس داغ .

داغ . . ما هو هذا الاسم؟ داغ؟ انه رجل قوي مهيب، يبعث الرعب . . وبكل تأكيد لم يعجبها . لكنها على أي حال ليست معجبة بالرجال كثيراً . بوجود شقيقين ساحرين لا حول لهما ولا طول دونها . وبضعة معجبين عاجزين عن الافصاح بمكنونات قلوبهم، وأب يعيش في كندا مع زوجته الثانية ولا تسمع الكثير من اخباره، لم تكن ليوني قد التقت الكثير من الرجال الذين يفرضون عليها احترامهم، عدا الإعجاب بهم . .

لقد كادحت لتشق طريقها في الحياة، وتنافست مع الرجال على قدم المساواة، وكسبت، وفي الشيء الوحيد الذي له أهمية لديها . . الفن . وهي الآن رسامة في دار كبيرة للنشر في لندن . رسوماتها كانت تتصدر غلافات العديد من الكتب، وموقعة لـ . وايلد . كي لا يُعرف جنسها، فلبعض الأسباب الخطية، يُعتبر الرجال أفضل من النساء في هذا

المضمار . وكان أسهل لها منذ البداية أن تتعامل مع الوكالات على أساس أنها سكرتيرة لـ . وايلد . وإلى الوقت الذي كُشفت فيه الخدعة كانت أقدامها قد رسخت ولم يعد هذا أمر مهم .

تراجعت في مقعدها مسندة ظهرها لتنظر إلى هذا الرجل . . هذا الغريب . . الذي جلس إلى كرسي قبالتها ونظر إليها بعدم إكتراث قارب من الوقاحة، وهز رأسه مرحاً، قائلاً بابتسامة ووجهه لكليهما :

ـ أظن أن حفيدتك ظنتني متعدياً على أملاكك .

اشتد ضغط ليوني على شفتيها حتى رقتا . .

يا لعجرفة الرجل ! . .

ردت ليوني بحلاوة مصطنعة :

ـ أظنك كنت تبدو هكذا نظراً لما أحاط بك من ظروف . . فلا يمكنني أن أرى كل يوم غريباً يقطع أشجار حديقة جدتي .

الجدة وايلد كانت تجلس هادئة، وكأنها تتمتع بالموقف . ونظراً لصمتها الطويل، بدت هادئة جداً . . وعادت الابتسامة مجدداً على وجه الرجل !

ـ تصحيح . . شجرة واحدة . . أو يجب أن أقول جزء من شجرة .

ونظر إليها بنفس الابتسامة وكأنه يقول : دورك الآن !

ـ إذن لماذا لم تقل لي هذا؟

رد بنعومة !

ـ لم تعطني الفرصة . . ثم لم أكن أعرف من أنت أليس كذلك؟ على أية حال بدوت لي غريبة كما بدوت لك تماماً .

وقف فجأة :

ـ لو عذرتني الآن سيدة وايلد . . سأعود إلى الخارج قبل أن يدركني الظلام .

- أجل عزيزي . . اذهب . اه . . لكن . . انتظر . . دعني أقدمكما لبعضكما بعد ذلك اللقاء التعس . . ليوني هذا داغون كابريل ، حفيد صديقة قديمة جداً لي . . داغ . . هذه حفيدتي الصغرى ليوني وايلد .

سادت لحظات مشحونة ، ثم تقدم ، وانحنى قليلاً بسخرية ، ثم مد يده . . ولم يكن أمامها اختيار آخر ، فصافحته ، لتجد يدها في قبضة فولاذية خشنة . . ثم أردف !

- لن أتأخر .

نظرت ليوني إلى جدتها التي بدأت تضحك . . وتنفست نفساً عميقاً ، فسارعت الجدة تقول :

- آه . . آه . . دون شتائم !

- انه . . انه . . ماذا يفعل هناك بحق الله ؟

- سأخبرك بعد تناول فنجان شاي . . أظنك ستحتاجين إليه . . وبينما ننتظر دورين لتحضره ، اخبريني عما كنت تفعلين . . أكنت مشغولة . . هل أتيت معك بعمل لك لتريني إياه !

- انه في السيارة . . سأذهب لأحضره . .

- فيما بعد . . . لا داعي للعجلة مطلقاً . . أتوقع بقاءك هنا لمدة . . يا إلهي . بدأ الظلام . . رُدي الستائر على النوافذ لنضيء المصابيح . . أتمنى أن ينهي داغ عمله الليلة .

وأنا أتمنى لو يكسر ساقه ! وتقدمت إلى النوافذ المطلة على الحديقة ، وشاهدت طيفها ينعكس على الزجاج ، طويلة نحيلة ، ممشوقة الساقين ، شعرها قصير ، وجهها غير واضح المعالم فوق الزجاج . . . وأحست بنفس الاحساس المقلق الذي أحست به قبل قليل . . يا إلهي . . إنه يسكن هنا . .

احتضنت ليوني مدبرة المنزل العجوز ، التي اغتبطت بوضوح

لرؤيتها ، ثم خرجت دورين مقفلة الباب وراءها ليسود الصمت الغرفة ، ما عدا تكتكة الساعة القديمة الفخمة في الزاوية .

- بإمكانك صب الشاي عزيزتي .

هل ستنفجر ليوني بالفضول قبل أن تحصل على رد تساؤلاتها ؟

- جدتي . . ماذا ستقولين لي عن هذا الرجل ؟ من هو ؟

اتسعت عينا الجدة استغراباً :

- لكنني قلت لك عزيزتي . . انه حفيد صديقة قديمة لي . . وسيقيم هنا لفترة قصيرة .

- لكنك أعطيتني انطباعاً ، من خلال رسالتك ، إنك محبطة وحيدة . . فوصلت لأرى إنك لا تتمتعين فقط بصحتك الرائعة ، بل لديك ضيف ، يبدو لي انه يتصرف وكأنه في بيته . . . ويا إلهي كم هو متعجرف !

ارتفع حاجبا الجدة الرماديين حتى التصقا بشعرها !

- عزيزتي ليوني . . ! متعجرف ؟ أؤكد لك انه أكثر الضيوف سحراً وأدباً يمكنني ان استقبله في بيتي . .

تنهدت ليوني ساخطة ، فسألتها الجدة بلهفة :

- هل أنت على ما يرام ؟

- لا . . لن أبقى هنا معه . . ألا يمكنك التخلص منه ؟

- أنت تدهشيني . لقد جاء كل هذه المسافة من رومانيا . .

- يا إلهي . . أهو روماني ؟

- حسناً . . نوعاً ما . . انه يعيش في بلجيكا منذ سنوات عديدة . .

- وكيف اتصل بك !

أيمكن أن يكون ما يظهر على وجه الجدة هو نوع من الحرج . . ؟ جرس إنذار خفيف انطلق داخل نفس ليوني . . هناك شيء خاطىء

هنا . . ويجب ان تعرفه ما هو . . لكن الآن ، اللحظة غير مناسبة .

وردت الجدة!

ـ حسناً . . في الواقع كنا نتبادل الرسائل وبطاقات المعايدة وما إلى ذلك ، منذ فترة طويلة . .

وبدا التردد على وجهها . . فقالت بحيرة :

ـ أوه . . أنا . . أين كنت عزيزتي؟

لكن هذا لم يخدع ليوني مطلقاً ، فقد كانت تعرف إدعاء الكبر هذا . .

فردت بحزم . .

ـ كنت تقولين لي إنك كنت تراسلينه منذ مدة . . وماذا بعد؟ هل قررت دعوته إلى هنا؟

ـ أجل . . اعتقد هذا . . لكن كان هناك أمر آخر .

ـ ما هو الأمر الأخر؟

ـ واقع انه تاجر أثريات . . وجيد جداً في مهنته . . . انه خبير . .

قاطعتها ليوني!

ـ وكيف تعرفين هذا؟

كانت تحس ان هناك شيئاً خاطئاً . . وخفق قلبها بشدة . . . يمكن أن يكون الأمر أسوأ مما تصور . . وردت الجدة بثبات مفاجيء!

ـ لأنني أعرف هذا . . ويجب ان تصدقيني . . وتعرفين جيداً بماذا كنت أفكر منذ سنوات . .

ـ أوه . . جدتي . . أرجوك . . ليس ذلك الأمر ثانية . . أمامك العديد من السنوات لتتمتعي بمنزلك وما يحتويه .

لا يجب أن تفكري ببيع . .

ـ لكنني أفكر بهذا . . وهذه المرة مصممة يا ليوني . .

فهذا المكان ، بقدر ما أحبه كبير جداً عليّ . . كبير جداً . وهناك المنزل

الصغير في أراضي الحديقة ، يكفيني تماماً . وفيه مكان لدورين وزوجها ، وغرفة للضيوف طبعاً . .

وربتت يد ليوني مبتسمة!

ـ وهكذا استدعيت داغ إلى هنا ، وسيتحسن لي كل شيء . . ثم انه بارع في كل شيء . . سيصلح المنزل الصغير لي ، ولهذا استدعيتك إلى هنا بالطبع ، وأرجو ان تتمكني من الإقامة طويلاً ، قدر الإمكان ، واكملي عملك هنا ، واتركي شقيقاك الكسولين يعتنيان بأنفسهما قليلاً . . سيفيدهما هذا . .

ـ جدتي! ماذا تعني بان هذا سبب استدعائك لي!

تطلعت العينان الزرقاوتان الشاحبتان ، البريئتان بها بدهشة!

ـ أوه . . ! ألم أقل لك بعد؟ أنت بارعة في عملك اليدوي كذلك . . وتعرفين الكثير عن الأثريات ، لقد درست الكثير عنها وأنت في كلية الفنون . . أليس كذلك؟ لذلك لا أريدك أن تكرهيه كثيراً . . لأجلي يا عزيزتي . . فكما ترين ، أريدكما العمل معاً . . لي .

قفزت ليوني واقفة :

ـ أوه . . لا . . ! لا يمكنك . . .

قاطعتها الجدة بحزم!

ـ لن استطيع بكل تأكيد تركه لوحده هنا . . أليس كذلك؟ وبمن استنجد غيرك؟

عادت ليوني إلى الجلوس!

ـ لوحده؟ ماذا تعني؟

ـ أوه يا عزيزتي . . ها قد عدت ثانية أنسى نصف الأمور المهمة! أيملي مريضة جداً . . العزيزة أيملي هاملتون ، التي تعيش في اسكتلندا . . وقلت لها انني سأزورها لبضعة أيام . . كما أن دورين وزوجها لم يأخذا

عطلة منذ سنوات . . وهكذا سيأخذاني معهما . . و . .

ـ لكن . . لا يمكنك تركي لوحدي معه . . يا للسماء . . بعيداً عن أي شيء آخر . . الأمر غير لائق!

ـ لكنه رجل مهذب جداً . . أعدك بهذا . . ثم ان السيدة ميلسون ستأتي من القرية كل يوم لتنظف المكان . . ولن يطول الأمر أكثر من بضعة أيام . . ثم هذا هو الوقت الوحيد القادر فيه أن يكون هنا . . لذلك لا استطيع إبعاده . . انه رجل مشغول جداً . .

وضعت ليوني يدها على رأسها . . لا عجب أن يؤلمها . .

ـ لا أظن أن . .

ـ فكري بالأمر حتى الغد . . أنت عاقلة متزنة التفكير . . ولطالما اعتمدت عليك عزيزتي . .

سمعنا طرقاً حاداً على الباب، ليدخل داغون كابريل، وتابعت الجدة دون توقف:

ـ أدخل داغ . . كنت أخبر ليوني عن الترتيبات ومن الطبيعي أن تشعر بالإنزعاج . . تعال واجلس . .

هل أكملت تقطيع تلك الأغصان؟

ـ أجل . . كل شيء على ما يرام الآن . . لكنني استطيع تدبير أموري جيداً دون مساعدة . . في الواقع أعمل أفضل حين أكون لوحدي . .

قاطعته الجدة بلهجة فزعة قليلاً!

ـ لن أحلم في أن أتركك لوحدك في بلد غريب! ماذا ستظن بضيافتنا؟ لا . . هذا لطف منك . . .

ـ لكنني اعتقد أن للآنسة وايلد بعض الشكوك . . لا؟ على أي حال، أنا غريب لها . .

نظرته إلى ليوني قالت أكثر من كلماته . . أنا لا أريدك هنا . . ولا

تعجبني كذلك . . . وقالت الجدة بحزم:

ـ اسمها ليوني . . وليس الآنسة وايلد .

قالت ليوني:

قد تكون غريباً لي، لكنني عملت مع غرباء من قبل . . طالما تعرف ما تفعل . . أتعرف ما تفعل؟

ـ لطالما عرفت ما أفعل . . وإلا لما كنت هنا .

ـ أنت واثق من نفسك كثيراً . .

ـ أجل . . أنا واثق من نفسي .

طوال الحديث لم يبعد عينيه عنها . . وأحست أن الحديث أعمق مما يقال من كلمات . . كان يجلس أمامها براحة . . لكن كالرفاص المضغوط، كالحيوان المنتظر لحظة انقضاضه على فريسته . . كيف يمكن للجدة أن تحبه؟ . . وسمعته يكمل:

ـ لو لم أكن واثقاً من نفسي، لما كنت جيداً في عملي . . صحيح؟

ردت بجفاء!

ـ لا أعرف مدى جودة عملك لأرد .

ـ صحيح . . لكن ستري . كما أنك فنانة من الطراز الأول أو . . هكذا أكدت لي السيدة وايلد . . ألست واثقة من عملك؟

ـ طبعاً .

أدركت الفخ الذي أوقعها فيه . . فصمتت . .

ـ من غير المفيد أن تكوني غير ذلك . . وربما كان لي شرف رؤية شيء من رسوماتك؟

اللعنة عليك!

ـ لا أظن . .

قاطعتها الجدة!

ـ لكن بكل تأكيد معك شيء من أعمالك في السيارة. هلا أحضرتها إلى هنا؟

ـ إنها بين الحقائب.

وقف داغ بسرعة.

ـ اعذريني.. كان يجب ان أعرض عليك هذا قبل الآن.. هل تسمحي بأن أحضر لك حقائبك؟

كبحت اندفاعاً لأن تسخر منه، وقالت:

ـ استطيع فعل هذا بنفسي.

ـ ما من مشكلة.. دعيني أساعدك.

فتح داغ الباب، وخرجت ليوني أمامه إلى الردهة، ونزلت السلم الأمامي دون أن تنتظره.. لكنه كان إلى جانبها قرب السيارة وكأنه الشبح الأسود..

فتحت الصندوق، ثم نظرت إليه:

ـ إنها ثقيلة.. كن حذراً.

نظر إليها مقطباً:

ـ أتعني انني قد أوقعها من يدي؟

مد يده يأخذ أكبر الحقائب، دون جهد.. ثم رفع الثانية.. ثم حقيبة الماكياج التي أعطاها لها.

ـ أهذا كل شيء؟

ـ أجل.

ـ أتعرفين غرفتك؟

ـ أجل.. سأسير أمامك.

عند أعلى السلم الموصل إلى الطابق الأعلى قالت له:

ـ من هنا.

وفتحت باب غرفة نوم زرقاء الأثاث.. وسمعته يقول شيئاً..

فوقفت مخيبة الأمل.. واضح ان الغرفة مشغولة. فهناك كومة كتب على الطاولة القريبة من السرير.. وروب حمام رجالي على الفراش.

ـ آسف.. لقد أخذت لك غرفتك.

أكان يحاول الضحك منها؟ استدارت بحدة نحوه.. كان قد وضع الحقيبتين أرضاً، ويمكنها ان تُقسم ان ابتسامة هزء قد امحت عن وجهه حال ان استدارت.

ـ هيا.. اكمل.. اضحك! أنت تموت طوقاً لأن تفعل هذا منذ لحظة التقينا.. أليس كذلك؟

ـ حاولت أن أقول لك حين توقفت هنا.. لكن..

ـ أتسمح لي أن أمرّ.. فإذا لم تفعل، قد أضربك..! لقد اكتفيت...

رد ببرود:

ـ لن تجرؤي.

كلماته صدمتها صدمة الثلج. فقالت من بين أسنانها:

ـ لا تتحداني.

ـ لو قلت أرجوك.. قد أدعك تمرّين.. هذا كل ما في الأمر.. كلمة واحدة.. لكن بأدب.. صحيح؟

ـ أوه.. اذهب إلى...

كان يضحك، وكان هذا آخر المطاف بالنسبة لها.. فطوحت ذراعها في الهواء، لكنها توقفت في منتصف الطريق ليمسك بها بشدة لم تدع لها مجالاً للحركة. والتمعت أسنانه ثم تحرك بسرعة لم تعطها أية فرصة، كل ما فعله، أن وضع يده الأخرى على خصرها وشدها إليه ساخراً:

ـ الآن سيكون لك سبب وجيه لتضربيني.

- أوه . . أيها الحيوان المتوحش . . أوه! أيها . . أنت . .

أطلقت نفسها من قبضته ووثبت عليه تهاجمه لكنه أزاح عن طريقها، وكادت تتعثر بالحقائب وتقع أرضاً لولا أن أمسك بها ليعيد لها توازنها، لكنه أمسك بذراعيها كي لا تضربه ثانية. كان على بعد نفس واحد منها، وجهه وجسده ملاصقان لها، تحس بحرارة أنفاسه . . وتمتم هامساً:

- لا يجب أن ترمي بنفسك عليّ هكذا . . ليس لائقاً بك . . .

- أووه . . !

وجذبت نفسها منه مجدداً لتقف وتواجهه وقد استعادت توازنها . . لكنها لم تجد الكلمات المناسبة لشدة غضبها . . وهو الآن لم يعد يضحك . . بل ينظر إليها ببساطة وهذا أمر مثير أكثر من أي شيء آخر.

وتحركت مبتعدة عنه، لتنزل إلى غرفة الجلوس، وتقف في الخارج قليلاً لتستعيد أنفاسها قبل مواجهة جدتها . . ثم دخلت لتسوّي مسألة لخبطة غرف النوم .

٢٠

سألقنك درساً

كان من المنطقي ان تعطيها الجدة، الغرفة الزهرية الأثاث، والتي تنال القسط الاقوى ضوء من الشمال الشرقي، المثالي لها للرسم. ولم يكن هناك مبرر أسوأ من هذا لإعطاء داغون غرفتها المعتادة .

حين جلست ليوني فيما بعد على سريرها، ونظرت حولها، أقنعت نفسها ان هذه الغرفة تعجبها أكثر، على أي حال. فالنور الصافي البرّاق كان ينساب إليها في الصباح، وستتمكن من الجلوس هناك والعمل، في خلوة تامة . . ثم صدمتها فكرة . . ماذا أفعل هنا على أي حال؟ ولماذا بحق السماء وافقت على البقاء مع هذا المخلوق القريب من الغجر، في وقت ستسافر فيه الجدة إلى اسكتلندا؟

تذكرت ليوني عناقه لها، فارتجفت . . انه قذر بالكامل! وكان يضحك . . وهذا ما يضيف الإهانة على تهجمه . . يضحك! لم يضحك منها أحد من قبل! . . أحد المعجبين الشعراء، لم تعد تذكر اسمه حتى، كان متأثراً بها لدرجة ان وضع القلم فوق الورق ليقارنها بالإلهة

www.rewity.com

القمر . . باردة نائية . . وجميلة . . ولا تـزال أبيات الشعـر معها . . ليس لأسباب عاطفيـة بل لأن الـورقة المكتـوبة عليهـا عالقـة في مؤخرة أحـد الأدراج المليئة بالكتب، حتى انها قـد تلاقي جهـداً لإيجادهـا والتخلص منها . لم يكن لديهـا الوقت عـما تفعله النسـاء المثيرات للشفقة في التـأنق لمجرد إرضاء رجل . . أي رجل . . إنها لا تهتم . .

كانت قد جاءت معها بعدة بذلات ببنطلونات، وبنـطلونات منفـردة مع بلوزات تناسبها، إضافة إلى ثلاثة تنورات . . واختارت تنورة سوداء تناسب أي شيء ومعها أبسط بلوزة بيضـاء . . دون ماكيـاج . . ما عـدا لمسة أحمر شفاه خفيفة . . ولن تترك داغون كابريل يعتقد انها تتزين لتؤثر عليه .

نزلت إلى غرفة الطعام، لترى أن جدتها هنـاك تشرب العصير . . ثم استدارت لتراه أمامها . فتقدمت تسيطر على أعصابها المضطربة لتجلس إلى جانب جدتها على الطاولة الطويلة . . وقال لها داغ :

ـ هل أحضر لك شراباً؟

ـ شراب الكرز مع مياه غازية أرجوك .

وقالت الجدة :

ـ تبدين فاتنة عزيزتي . أليس كذلك داغ .

ابتسم !

ـ حقاً . أجل .

وتقدم ليعطيها الشراب ويجلس قبالتها، ثم يقول :

ـ هل لي أن أرى بعضاً من رسوماتك بعد العشاء؟

لو أنها قالت لا . . فلن يندهش، لكن جدتها ستصدم :

ـ إذا كنت تريد هذا حقاً .

ـ طبعاً . . سيكون هذا مثار اهتمامي . . فأنا أحب الرسم .

ردت بسخرية :

ـ حقاً . . ؟ كم هذا مثير .

ـ وارسم كـذلك . لكن رسـومـات بـالفحم . . إنها مجـرد هـوايـة، تفهمين ما أعني .

ردت الجدة :

ـ أوه . . لكنك بارع .

ـ لا أستطيع قول هذا سيدة وايلد .

ـ أوه . . لكن هـذا صحيح ! يجب أن تعـرض رسماتـك على ليـوني، خاصة الصورة التي رسمتها لي .

ردت ليوني ساخرة :

ـ ساحب أن أراها .

من المعروف ان الجدة ضعيفة النظر، وبـإمكانـه أن يقول لهـا كم هو بارع . . وستصدقه .

ـ إذن سترينها .

ودخلت دورين تقدم العشاء دون إبطاء .

بعد العشاء جـاء ببعض رسماتـه . . وشاهـدت الأولى التي لجدتهـا، وللحظات أحست بخلو رأسها من أي تفكير . لقـد كـانت الـرسمـة رائعـة . في بضعـة خـطوط التقط الأسـاس في سيـماء العجـوز . . الشخصيـة . . العينان حتى في لمعـان تمتعها بـالحياة . . . والهـدوء عـلى وجهها .

وكان ينتظر ردة فعلها، واثق من نفسه .

ـ جيدة جداً . .

لم يكن أمامها أي شيء آخر تقوله :

ـ شكراً لك، وهذا رسم لدورين . . كانت مترددة لكنني اقنعتها .

لقد شاهدت بأم عينها الطريقة التي كانت دورين تنظر فيها إليه . . كأم تنظر إلى ولدها المحبب . لماذا ليوني لوحدها لا يمكنها النظر إليه بهذه الطريقة؟ أخذت الرسم منه، وكان أفضل من الصورة الأولى . ثم قالت بعد أن ابتلعت بصعوبة :

- همم . . أجل . . كلاهما رائع .

- والآن . . لنرى لوحاتك .

- أوه . . حسناً . . سأحتاج إلى إخراجها من الحقائب . . ربما غداً . إنها الآن مضطرة لانتقاء أفضلها . . وبعناية فائقة . . ورد عليها :

- بكل تأكيد .

ولأن من المفترض أن تكون متعبة من الرحلة هربت إلى غرفتها، مع أن الساعة لم تتجاوز التاسعة والنصف بعد . . ولم تكن تحس بالنعاس، بل العكس، أحست بالصحو الكامل، والقلق . . والتشوش الكامل . إنها لا تريد البقاء هنا . . مع ذلك لا تثق به، مع ان جدتها ودورين تثقان به كثيراً لتتركاه لوحده في المنزل لبضعة أيام . . ولولا وجودها، قد تعود الجدة لترى منزلها فارغاً من كل الانتيكات الجميلة . . ولتجده قد رحل . . ما في شك في هذا عند ليوني . . وستعرف حقيقته من جدتها دون شك .

بكل بساطة . . لن تتمكن من النوم وتفكيرها مُعذّب هكذا . . نزهة في الحديقة هي الحل الأمثل . . والظلمة التي تلفها لا ترعبها مطلقاً فهي تعرف كل إنش في الحديقة . ستتسلل لتتمشى لنصف ساعة فقط، ثم تعود لتنام .

الهواء البارد الصقع جعلها ترتجف، فلفّت معطفها حولها بإحكام ووضعت يديها في جيبيه . وكالشبح تسللت وراء المنزل، نحو الظلمة التي ابتلعتها فوراً . . هنا . . الآن . . تستطيع ان تسترخي قليلاً . انها

تعرف تماماً اين هي وتعرف ماذا تفعل .

جاء الآن وقت الانعطاف إلى اليسار، عبر ممرّ ضيق . . تنمو على جانبيه الحشائش البرية حتى أن بعض الأشواك علقت في معطفها، وأخذت أوراق الشجر تلامس شعرها . . يجب تقليم كل الأشجار دون هوادة، ويجب اصطناع فسحة ظليلة على بعد أمتار كي تحصل الجدة على مكان خاص تزرع فيه أزهارها المفضلة .

ووصلت . . وبدا لها المنزل الصغير أمامها، وطقطقت أغصان الشجر الجافة تحت قدميها . . ثم تقدمت إلى الباب الأمامي القديم، ودفعته لينفتح ببطء مصدراً صوت صرير مرتفع . . وقفت للحظات داخل الردهة الصغيرة، وتحرك الهواء المغبر الرطب من حولها . فتقدمت إلى الغرفة التي عن يمينها . . فهي تعلم أن هناك قنديل زيت فيها، كانت تضيئه وأخويها حين كانوا يلعبون هنا وهم أطفال . . ولم يدخل المنزل أحد منذ سنوات .

تلمست طريقها إلى الطاولة . . إنه هنا . . واصطدمت يدها بعلبة ثقاب! فتحتها وأشعلت عوداً، فاشتعل بسرعة جعلتها تقطّب بحيرة . . الثقاب جاف، ولا بد أن يكون قد أصابته الرطوبة بعد كل هذه السنوات؟

رفعت زجاجة القنديل واشعلت الفتيل، فغمر نوره الأصفر الدفيء الغرفة . . ونظرت إلى علبة الثقاب . . إنها جديدة . . ونظرت إلى المصباح لتجده نظيفاً لماعاً . . . وعرفت فوراً من فعل هذا . . أليس هناك من مكان لم تمتد يده إليه بعد؟

أخذت تقلّب النظر بالامكانيات . . . هناك ثلاثة غرف نوم وحمام في الطابق الأعلى، وغرفة جلوس أخرى في الطرف الآخر من الردهة، ومطبخ في مؤخرة المنزل . توجهت إلى المطبخ تحمل المصباح لتنير

طريقها . . وتسارعت الكثير من الذكريات أمامها . . الكثير من السعادة لسنوات بعيدة مرّت . ودخلت المطبخ . . انه مختلف عما تذكره . . المغسلة البيضاء «البورسلان» ذهبت وكذلك الخزائن القديمة . . لم يبق سوى طبّاخ الغاز . . لم يضع وقته إذن . . !

وقع . . سمعت صوتاً، وأحست بجلدة رأسها تنكمش . انه صوت وقع أقدام هادئة في الردهة . فاستدارت، دون خوف، فالقليل القليل يخوّفها . وضعت يدها وراء المصباح كي يعطي ضوءه إلى الأمام . . شاهدت داغون كابريل يتقدم نحوها .

ـ أنت . . ! كان يجب أن أعرف هذا .

ـ كان يمكن أن لا أكون أنا . . ألم تخافي؟

ـ ولماذا أخاف؟ . . لا يوجد متطفلين هنا . .

رد بهدوء :

ـ لا . . ؟ ظننتك متطفلة .

ـ صحيح؟ مع ذلك دخلت؟ هذه شجاعة منك .

لم تحاول إخفاء السخرية . . فضحك .

ـ لست شجاعا، بل فضولي . . الفضول دفعني لرؤية من قد يهتم في رؤية منزل قديم فارغ .

ـ والآن تعرف . . أليس كذلك؟ لماذا لا تعود أدراجك؟

ـ سأعود حين تبدئين العودة . ليس من الجيد لامرأة أن تكون لوحدها في ليلة مظلمة . . .

ـ أحياناً من الأمان أكثر أن أكون لوحدي .

ـ أحياناً . . وأحياناً يكون المرء مسؤولاً عما يحصل له

ـ لم أطلب منك أن . .

ـ وأنا لا أتلقى الأوامر من أحد .

ـ وأنا لا أسمح لأحد أن يضحك مني . .

هذا الآن أحداً لم يجرؤ على هذا من قبل، كما اعتقد . . .

ـ لن أقف هنا لأسمع إهاناتك . . أتسمح أن تذهب من هنا، وتدعني لوحدي؟

ـ لا . . سأرافقك إلى . .

ـ لن تفعل هذا! . . أرجوك دعني أمرّ!

وتذكرت ما حصل المرة الماضية . لكنه تنحى قائلاً :

ـ بكل تأكيد .

تقدمت نحو الغرفة التي تركتها لتعيد المصباح إلى مكانه على الطاولة، وقالت :

ـ اعتقد انك من أصلح المصباح؟

ـ أجل .

ـ وبدأت العمل في المطبخ؟

ـ أجل .

قالت بسخرية مريرة :

ـ أنت لا تضيع وقتك أبداً . . أليس كذلك؟

ـ لا . . فأنا لا أملك وقتاً كافياً أضيعه . . وأنت؟

ـ منذ متى تعرف جدتي؟

ـ طوال حياتي تقريباً . . لمَ السؤال؟

ـ لأنني لا أصدقك .

ـ ولا أنا أحب من يدعوني كذاباً .

لم أدعُك هكذا . . بعد . .

ـ أنت لا تصدقيني . . وهذا نفس الشيء .

ـ صحيح؟ إذن لماذا لم تذكرك لنا من قبل؟ أنا كذلك أعرفها طوال

حياتي، ولم أسمعها تذكر اسمك . .

ـ أتلوميني على هذا؟ إذا كانت لا تريد أن تقول لك . . أظن هذا من شأنها . .

ـ ولماذا تخفي عني؟ لطالما كنا مقربتان . .

ـ لا يبدو لي هذا .

ـ ماذا تعني؟

هز كتفيه دون اكتراث :

ـ لأنها لم تقل لك كل شيء . . ولماذا تقول لك؟ أنت لا تديرين لها حياتها . . مهما كنت تواقه لهذا . . أنت تعيشين في لندن . . كم مرة تقابليها؟ مرة في السنة؟ مرتين ؟

ـ هذا ليس من شأنك . .

ـ أنك تجعلين هذا من شأني .

رفعت نظرها إليه . . لقد تغيّر . . أصبح قاسياً، لا أثر للشفقة على وجهه وكان يقف مواجهاً لها في الغرفة الباردة، يتراقص النور الأصفر على وجهه، فجأة أحست بالخوف . . لكنها قالت بصوت هادىء :

ـ أزاها مرات بقدر ما استطيع . ثلاثة أو أربعة مرات في السنة . . ولو لزيارات قصيرة . .

ـ هكذا إذن . . أمر جيد . . فليس من اللطف هجر الأقارب العجائز . .

ـ أنا لا أهجرها . . انها تحب هذا المكان . . أعرف إنها تكبر في السن، لكنها نشيطة أكثر من نساء كثيرات أصغر منها .

ـ أجل . . الاحظ هذا بوضوح . . وبإمكانها أن تكون لها حياتها الخاصة . . ولها بالفعل . . ولهذا السبب لم تسمعي بي من قبل . . . لكني الآن هنا . . ولا شيء يمكنك فعله حول هذا . . .

استشاطت غضباً :

ـ لا تعجبني طريقة قولك هذا .

ـ لا؟ لكنك تقولين أشياء كثيرة لا تعجبني . . أليس من المتوقع أن أدافع عن نفسي حين توجهين الإهانات إليّ؟ ربما هكذا يتصرف السيد الإنكليزي المهذب . . لكنني لست سيداً انكليزياً مهذباً . .

ـ أنت حتى لست أي نوع من المهذبين!

ـ ها قد عدت إلى الإهانة . . اعتقد ان على أحد أن يعلمك حسن الأخلاق قبل الآن . .

ـ أعرف الكثير . . شكراً . .

اكمل كلامه وكأنها لم تتكلم :

ـ ربما سيكون هذا الشخص أنا .

ضحكت جبراً :

ـ أنت! هذا أكثر كلام مضحك سمعته في حياتي؟

ـ أعدك أن لا تعودي إلى الضحك حين أفعل .

ـ وكيف ستفعل .

ابتسم بكسل :

ـ سترين . . . سترين!

ـ أنت لا تخيفني .

ـ ولا أنوي إخافتك . . فالدروس لا تُلقن بالتخويف . . . بل تعطى مع الصبر . . والصبر هو ما يحتاجه أي شخص معك، والقوة أيضاً . . وأنا أملكهما معاً .

ـ كم أنت متعجرف . . ! ألم يقل لك أحد هذا من قبل؟

التمعت أسنانه البيضاء .

ـ بعض النساء، كما اعتقد .

- أراهنك على هذا! لكنني لست واحدة منهن . . . ولن أكون . . الرجال مخلوقات لا نفع لها . . وأنت لست مختلفاً عن الآخرين . .

- أهذا تحاولين التصرف وكأنك متفوقة؟ ترتدين البنطلون . . وشعرك قصير؟

مد يده يلامس أطراف شعرها، فضربته عليها، لكنه ضحك .

- يا للخسارة!

- كيف تجرؤ . . ؟ أنا لا أفعل هذا مطلقاً . . أنا أرتدي ما يروق لي . . وكما تفعل أنت . . أتعرف بمن ذكرتني حين رأيتك بعد الظهر . . ؟ ظننتك غجرياً . . . لا تصلح لشيء .

- آه . . لهذا تحديتني! ظننت أنني أسرق الحطب من أشجار جدتك . . وتقدمت نحوي مستعدة لمعركة . . وتساءلت للحظات من هذه المرأة المقاتلة المشاكسة . . ثم عرفت . . لكنك ستتعلمي . . ستتعلمي .

- لن أتعلم منك .

- لا . . ؟ سنرى . . والآن . . جاهزة للعودة إلى المنزل؟

- لا . . سأعود متى أشاء .

- إذن من الأفضل أن أقول لك . . هناك أسد جبل شوهد قريباً من هنا . . . أترغبين في مواجهة معه في الليل؟

- أتقول الحقيقة؟

- أجل . . وقد يكون هناك أكثر من واحد . . انهم يقتلون الدجاج في القرية . . جدتك ستقول لك . . والآثار لم تكن لثعالب . . كانت قطعاً لقط جبل متوحش . . هذا ما قالته لي . . . اسمع الكثير عنهم، وأقول لك أنني لا أرغب مطلقاً أن أكون لوحدي في الظلام مع أحدهم .

- انهم لا يهاجمون الناس إذا لم يزعجهم أحد .

- ربما . . قد تعرفين أكثر مني . . لكن من يستطيع تحديد ما إذا كان أحدهم منزعجاً حين يقابله؟ . . هل ستعودين معي أم لا؟

- اعتقد أنني سأعود . . جئت فقط لأرى هذا المنزل .

- وهل اكتفيت؟

- لماذا جئت إلى هنا؟

- لأن السيدة وايلد طلبت مني هذا .

- لا يمكنك ترك عملك لمجرد طلب من عجوز؟

- لقد فعلت أنت هذا؟

- لكنني قريبتها . . وأنت لست هكذا .

- احتجت إلى عطلة . . إلى تغيير إذا شئت . كما أنني أهتم كثيراً بالانتيكات .

- إذن ليس الأمر عطلة . . خاصة وأنت تصلح هذا المنزل أيضاً؟

- أنت لا تستسلمين أبداً . . أليس كذلك؟

- لا أظن انني سأفعل يوماً . . خاصة معك .

سمعت صوت تنفسه العميق، وأخذت العتمة تزداد في الغرفة، وأصبح التوتر مشدوداً كسلك من فولاذ يمتد بينهما . لأول مرة أحست انها لوحدها معه، في منزل معتم هادىء بعيداً عن أي مكان، عن أي كان . . ولا يعرف أحد أين هي سواه .

برعب مفاجىء، لا سبب له، تحركت نحوه قائلة :

- دعني أخرج من هنا . .

أمسك ذراعها .

- أنت خائفة . .

علقت أنفاسها في حلقها، وبدت دقات قلبها تملأ الغرفة :

- لا! لا تلمسني! اتركني . . !

ـ لا بد انك خائفة . . أتظنين أنني ساؤذيك؟

مدت يدها الأخرى تنتزع أصابعه عن ذراعها .

ـ أنت حيوان!

ـ لا . . أنا إنسان .

ـ أرجوك . . انزع يدك عن ذراعي .

وفعل . . ثم ابتعد عنها . . وسمعته يتنفس وكأنه كان يركض . وأدركت أن ما بينهما، كائناً ما كان ، من كراهية مطلقة، فهو يحس به كما تحس هي به . . ولا مهرب منه . . فهو موجود منذ لحظة التقيا، وسيستمر طالما هو هناك . . وقالت :

ـ أنا عائدة إلى المنزل .

ـ إذن سنأخذ المصباح ينير لنا الطريق .

ـ إذا رغبت في هذا .

فجأة أحست بالبرد والتعب . . وأخيراً ستتمكن من النوم . .

ـ سأسير في المقدمة .

ـ لكنني أعرف الطريق . .

ـ قلت انني سأسير في المقدمة . . تعالي!

رفع المصباح إلى الأعلى كي ينير الطريق أمامهما . . وتمت الرحلة إلى المنزل بصمت . . حين وصلاه . . كان مظلماً، فالجدة صعدت إلى غرفتها . في الردهة أطفأ داغون كابريل المصباح ووضعه على الطاولة . ثم استدار إليها :

ـ أذاهبة رأساً إلى النوم ؟

أكملت طريقها إلى السلم :

ـ أجل

ـ تصبحين على خير ليوني .

توقفت لحظة في منتصف السلم

ـ تصبح على خير .

ثم أكملت ما تبقى من درجات راكضة، ودخلت إلى غرفتها .

اليوم التالي كان يوم الأحد . . والجدة تذهب دائماً إلى كنيسة القرية يوصلها جيف، زوج دورين بالسيارة عند العاشرة تماماً . لكن ليوني نسيت هذا، فحضرت قائمة الرسم الخشبية بعد الفطار مباشرة تنوي ان ترسم . لكن دورين ذكرتها، فذهبت إلى غرف جدتها تطرق الباب

ـ أدخلي .

كانت الجدة تجلس في الفراش، تتمتع بتناول طعام الفطار، وهذا هو التنازل الوحيد لها أمام سنها المتقدم :

ـ صباح الخير عزيزتي . . هل نمت جيداً؟

ـ أجل جدتي . . شكراً لك . جئت أرى إذا كنت تريدين مني أن أرافقك إلى الكنيسة .

ـ هذا رائع . . طالما أنت واثقة . . .

ـ بكل تأكيد . . يمكنني الرسم فيما بعد .

ـ جيد . . تعالي واجلسي إلى جانبي . . هل نزل داغ لتناول الفطار بعد؟

ـ لم اشاهده .

ـ يريد إنهاء بعض العمل في المنزل الصغير اليوم . . وقلت له أن لا بأس لي هذا طالما يعمل بهدوء . . أنت تعرفين كيف الأمور هنا أيام الأحاد .

ضحكت ليوني :

ـ حقاً أعرف . . لقد بدأ عمله . . أليس كذلك؟

ـ أجل . . وكيف عرفت؟

ـ أوه . . خرجت لنزهة ليلية قبل النوم . ورأيت المطبخ . . ثم وصل . . وعدنا معاً . قال لي أن هناك أسد جبل في الجوار .

ـ أنا سعيدة لتفاهمكما . . ! صحيح ، كان يجب أن أقول لك عن القط المتوحش ، لكنني لم أحلم بأن تخرجي لوحدك ليلة السبت . . . .

إذن ، كان يقول الحقيقة ، في أمر واحد على الأقل . . .

ـ حسناً . . سأكون أكثر حذراً الآن . مع انني طالما احببت أن أرى واحداً عن كثب ، فأنا أحب كل أنواع الحيوانات .

ـ أجل . . لكن يمكن أن يكونوا شرسين ، إذا كانوا صغاراً ، والمأمور ماكلاود يعتقد ان هناك مستوطنة لهم في مكان ما من الجبل . . ولحسن الحظ ليس لدينا دواجن ، وإلا لوصلوا إلى هنا . . مع ذلك عزيزتي ، لا تخرجي لوحدك بعد الظلام . وستكونين آمنة حقاً مع داغ . . انه قادر . . أليس كذلك؟ هل تناولت الفطار عزيزتي؟

ـ لا . . فحين ذكرتني دورين بموعد الكنيسة ، صعدت إلى هنا فوراً . ومن الأفضل أن أنزل الآن . . أكاد أموت جوعاً .

ـ اذهبي إذن عزيزتي .

دخلت غرفة الطعام لتجد داغ يتناول اللحم والبيض وهو الفطار الانكليزي التقليدي ، وأدركت فجأة ان هذه هي المرة الأولى التي تراه فيها بوضوح في ضوء النهار . . . وهو يحاول الوقوف قالت بسرعة :

ـ لا تقف .

ـ صباخ الخير ليوني . .

ـ صباخ الخير .

وجلست تكشف الغطاء عن طبق فطارها ، وتبدأ تتناوله .

فسألها :

ـ قهوة؟

ـ أجل أرجوك . . مع الحليب .

ـ لم ترني لوحاتك بعد .

ـ لا . . أتريد حقاً رؤيتها؟

ـ ما كنت أسألك لو لم أكن أريد .

والتوى فمه العريض بابتسامة عذبة . . فتنفست بصعوبة ، هذا يجعلها قلقة لسبب ما . . وليست معتادة على مثل هذا الشعور .

ـ سأحضر لك بعضاً منها فيما بعد . . لأنني سأخرج مع جدتي إلى الكنيسة بعد قليل .

ـ فيما بعد إذن . . سأعمل في المنزل الصغير حتى موعد الغداء .

ـ لا تنسى إعادة المصباح معك .

ـ فعلت هذا . . فقد استيقظت باكراً ، وخرجت أتمشى .

فجأة فقدت شهيتها للأكل ، فدفعت الطبق بعيداً وسحبت فنجان القهوة الذي حضره لها وشربته . . ثم وقفت

ـ أراك وقت الغداء إذن .

خارج غرفة الطعام ، رفعت يدها إلى فمها . . . أوه . . . يا الله ، لا استطيع ان أطبقه . . وصعدت السلم بسرعة وكأنه يلاحقها . في غرفتها جلست على مقعد قرب النافذة . . كان صباحاً ضبابياً بارداً ، مع شمس ضعيفة مبتلة بالكاد تظهر . . كم تحب هذا المنزل . . وكم تمتعت بزياراتها له . . كل زياراتها . . حتى الآن . لكن كل شيء تغيّر ، وبأكثر من طريقة . . هذا المنزل سيباع عما قريب . . وسيتجرد من كل ممتلكاته الجميلة . . . ولن يعود أي شيء كما كان . . كما ان هذا الرجل الآن هنا ، وهذا واقع يزيد إفساد كل شيء .

أغمضت عينيها ، لكن صورة وجهه لازمتها . . يسخر ، يضحك . . ثم تذكرت أمراً قاله : كان يجب لشخص أن يعلمك

دروساً في الأخلاق الحسنة . . وربما سيكون هذا الشخص أنا . . حتى الآن وهي تستعيد ذكرى الكلمات، أحست بقشعريرة باردة . . كم أن هذا الرجل متعجرف . . . !

كلمت نفسها بهدوء :

ـ أوه . . . لا . . . لن تفعل . . لا أحتاج إلى أي شيء منك .

لكنها كلمات تلفظت بها مندفعة . . وهذا كل شيء . . . لكن وهي ترتدي معطفها استعداداً للخروج مع جدتها، كانت تحس أكثر الأحاسيس غرابة، وكأنه نوع من المعرفة . . انه يتذكر كل ما جرى بينهما . . ويعني كل ما قال . . . !

٣٠

احذري المرة القادمة!

ـ أوه يا عزيزتي . . لن يسمع داغ جرس الغداء . . وعلى أي حال سيحتاج للاغتسال . . فهل تكوني لطيفة ما يكفي . .

أكملت ليوني كلام جدتها :

ـ وأذهب لأناديه؟

ـ أجل . . أنت لا تمانعين . . أليس كذلك؟

ابتسمت :

ـ تعرفين انني أفعل أي شيء لك . سأذهب بعد أن أنهي شرب الشاي . . هل قال لك من يهتم بأعماله في بلجيكا وهو غائب؟

ـ لديه شريكة، وعدة مساعدين . . الشريكة . . ما اسمها . . ؟ مدام برايانت، كما أظن . . انها موهوبة . لقد أراني صورتها . . انها امرأة شقراء أنيقة . . أنيقة جداً . .

ـ أوه . . وهل زوجها في نفس العمل؟

ـ إنها أرملة .

www.rewity.com مرر مورية

أنهت ليوني فنجان الشاي :

ـ أوه . . من الأفضل أن أذهب . . لقد قاربت الساعة الثانية عشرة والنصف .

حين وصلت المنزل، دفعت الباب تفتحته :

ـ داغ . . !

دون رد . . نادت من جديد . . . ثم أدركت إنها تضيع وقتها، فصعدت السلم . . كان صوت ضرب المطرقة يأتي من الغرفة الأمامية، والباب موصد، ففتحته ليتوقف الطرق فجأة . . وتجده عار حتى الوسط . . فسألها

ـ تريديني؟

تريديني . . . . ؟ يا لسخفه . . . ؟

ـ أرسلتني جدتي لأبلغك بقرب موعد الغداء

ـ حقاً؟ حسناً، الأفضل لي إنهاء هذا . . بعدها سأحضر .

ـ لماذا تنزع المدفأة من مكانها؟

ـ لأن جدتك ستحصل على تدفئة كهربائية .

واستدار ليكمل عمله، وكأنه يصرفها عنه . . فخرجت راكضة، وقد عاودها كل شيء مجدداً . . . الاحساس بالعجز أمام ثقته المتعجرفة بنفسه . . وهذا ما لا يعجبها مطلقاً . . . لكنها تسمرت في مكانها أمام الباب الخارجي . . للحظات أصيبت بالشلل أمام نظرات عدائية من مخلوق صغير بلون التراب، له ذيل قصير غليظ . ثم لاحظت الرأس المسطح، والأذنان الكبيرتان، وعرفت أنها لا تواجه قطاً عادياً . . . انه قط متوحش حقيقي . . أسد الجبل . . ثم . . كالبرق، تقدم نحوها . . ولا بد انها صاحت دون وعي، لا من الخوف؟ بل من الاجفال والذهول . . . واختفى، وكأنه البرق بين الشجيرات الشائكة .

وأحست ليوني بالابتهاج . . لقد شاهدت أول أسد جبل في حياتها . . وتريد إخبار أحد . . وقبل أن تستطيع التفكير سمعت صوت داغ . . . وفي لحظة كاد يصدمها وهو يخرج من الباب .

ـ ما الأمر؟ لقد صحت .

نظرت إليه دون تفكير، كانت لا تزال خائفة بما رأت :

ـ إنه أسد الجبل . . كان هنا . .

ـ وهل هجم عليك؟

ـ لا . . لكنه تحرك . . ولم أدرِ أنني صحت . . . فقد كنت مجفلة .

ـ خائفة؟

كانت تعلم جيداً انه لن يصدقها من ذلك قالت :

ـ لا . . كان مجرد قط كبير بلون التراب، عدا عيناه وأذناه المسطحتان فوق رأسه المفلطح . . .

ـ إذن يجب ان نعود إلى المنزل ونتصل بمأمور الشرطة . .

ـ لا! لا يجب أن تفعل هذا .

ابتسم :

ـ لماذا؟

ـ لن تفهم . . أرجوك لا تقل شيئاً .

ـ الأفضل أن تدخلي المنزل وتقولي لي السبب، سأتجمد من البرد لو وقفت هنا دون ملابس . . . ثم قد تتركين ذراعي لو أننا تحركنا .

أدركت فجأة أنها تمسك بذراعه، وهي تكلمه، فسحبت يدها وكأن اللمسة أحرقتها، ففتح الباب ودخلا الردهة .

فقالت له :

ـ سيضعون له الفخاخ لاصطياده، ثم سيحاولون قتله .

ـ لكنه مؤذي . . . كان يأكل الدواجن . . .

- قد تفعل نفس الشيء إذا لم تجد ما تأكله .

- ألا تفهمين؟ انه متوحش . . . ولن يطعمه أحد . . .

وشاهدت وميض مرح في عينيه وهو يرد عليها . . فالتفتت إلى النافذة وقد بدأت فكرة ما تتكون في رأسها لكنها لن تتكلم عنها الآن . وقالت :

- ألن يطعمه أحد؟

- لا . . . فهو خطير جداً . . .

استدارت نحوه :

- ما هو؟

- ما كنت تفكرين به .

إذن فهو يعرف بما تفكر . . . وردت ببطء :

- وبماذا كنت أفكر؟

- انه مكتوب على وجهك . . . ستحاولين إطعامه . . . لماذا؟

الديه القدرة على قراءة أفكارها؟

- لا تكن سخيفاً . . سأعود إلى المنزل . . .

- لا . . . لن تذهبي قبل أن تقولي لي إذا كنت محقاً أم لا .

هزت كتفيها :

- مجرد فكرة . . لا يجب أن تأخذ الأمور بجدية . . .

هز رأسه :

- أوه . . لا . . لا . . تخدعيني مطلقاً . . لماذا ترغبين في إطعام قط متوحش ؟

رفعت نظرها إليه تلتقي عينيه ، ترى عمقها الداكن . . . تحسن أنها لن تستطيع إشاحة نظرها حتى لو أرادت ، وأجابت :

- لا أحب ان يكون أي مخلوق جائعاً . . . خاصة الحيوان . . انهم

كالبشر . . ولا حول لهم . . عاجزون . . .

- لا يبدو لي على هذا العجز . . فهو يصطاد . . .

- إذا كان قد وصل إلى هنا ، فيعني هذا انه يبحث عن طعام . . . ويعني كذلك انه يبتعد عن القرية . .

- ويعني كذلك ، كما أظن ، انك تحبين الحيوانات أكثر من البشر؟

- وكيف عرفت؟ بعدها الأشجار ، ثم النبات . . . والبشر يأتون في المرتبة الرابعة . . . ما عدا جدتي . . . فأنا أحبها أكثر من أي شيء آخر . . لكنك لن تفهم هذا .

- أوه . . . بلى . . أفهمك ، أكثر مما تظنين . . . حسن جداً . . لن أقول شيئاً عن القط المتوحش . . . والآن . . أليس الأفضل أن تعودي إلى المنزل؟

- هذا ما كنت أنويه ، لكنك أوقفتني . . . أرجو عذرك الآن . .

تنحى لها جانباً لتمر ، ثم أمسك ذراعها فجأة :

- شيء واحد ، قبل ذهابك؟ كيف ستطعميه؟ وبماذا؟ وأين ستتركي الطعام له؟

هذا بكل تأكيد لم يخطر ببالها :

- سأفكر بشيء ما .

- فكري جيداً إذن . . فلا أتصورك تذهبين إلى مخزن القرية كل يوم لتشتري له الدجاج دون إثارة تعليق .

معه حق ، وعليها ان تعترف . ساد صمت للحظات وهي تتصور نفسها تدخل مخزن القرية العام لتطلب دجاجة كل يوم . . وسمعته يقول كمن يتردد!

- إلا . . إلا إذا . . ذهبت إلى مكان آخر . . .

- تعني إلى قرية أخرى؟

ـ أجل . . ألا يوجد قرى قريبة؟

هناك شيء مريب هنا . . ما هو السبب المراوغ الذي يفكر به كي يظهر استعداداً للمساعدة؟ نظرت إليه محتارة .

ـ أنا لا . .

وصمتت، كلما عرف أقل . . . كان أفضل .

ـ بلى . . تعرفين . . لكنك متوترة .

هزت رأسها :

ـ لا . . إنسى انني تكلمت . الأمر كله سخيف بالطبع . لا يمكن للناس إطعام القطط المتوحشة . .

الآن لا أصدقك .

هزت كتفيها :

ـ أنا سببت لنفسي بهذا، كما اعتقد . وهذا ما يجعلنا متعادلين . . . فلنترك الأمر كما هو . . . اتفقنا ؟

وانتزعت ذراعها من يده تحاول إكمال طريقها!

ـ انتظري .

ـ لا . . ليس هناك المزيد يقال . والغداء سيكون جاهزاً بعد دقائق . . أتذكر؟ وعليك إنهاء شيء . . .

ـ سأنهيه فيما بعد . فلا وقت انه الآن . ابقي هنا . . سأدخل لأحضر كنزتي .

وصعد إلى الطابق العلوي . . لكن ليوني لا تنقاد لمطالب أي رجل، وعلى الأقل هو، فتحت الباب الأمامي وخرجت تسير نحو المنزل، عيناها وأذنيها، متحفزتين لسماع أي حركة للقط البري .

لحق بها عند الممر الضيق المليء بالعشب الكثيف، وكان يشد الكنزه من فوق رأسه ليلبسها .

ـ ألم أقل لك أن تنتظري؟

التفتت إلى الوراء

ـ أجل . . . لكنني لم أفعل . . . صحيح؟

ـ طلبت منك هذا لسبب . . ألا تريدين معرفته؟

كان في صوته شيء جعلها تقف . . . شي ما . .

ـ نعم؟

ـ أظن انني أعرف أين تعيش .

استدارت ببطء تواجهه . . . كانا يقفان ضمن الأشجار الكثيفة، حيث بعض العتمة، والهواء بارد رطب، حتى ان أنفاسهما كانت تخرج سميكة كالقطن . . ثم عرفت، وقالت دون دهشة :

ـ لقد رأيتها إذن .

ـ أجل . . وليس واحد فقط .

ـ لِمَ لم تخبرني من قبل؟

ـ لأنني كنت أحاول التأكد . . .

من ماذا؟

ـ أنك تشعرين كما أشعر .

الأمر يحدث لها ثانية . . إحساس بالارتباك الكامل أمامه :

ـ لكنك قلت . . .

ـ أعرف ما قلت . . . ولو صممت على دعوة الشرطة لكنت حاولت إقناعك أنك تخيلت رؤيته قبل أن نصل المنزل . . ثم عرفت .

ـ متى رأيتها؟ وأين؟

ـ منذ يومين . . كنت في طريقي إلى هنا حين لاحظت قطيطة صغيرة تخرج من بين الشجيرات . كنت على وشك التقاطها ظناً مني أنها قطيطة عادية خائفة، حين هاجمتني الأم وكادت تنال مني . فهربت في الوقت

المناسب، والتقطت الأم القطيطة ثم اختفت . . أتعرفين ما يعني هذا ؟

ـ إنها تعيش في مكان قريب؟

ـ أجل . . والقطيطة كانت صغيرة جداً . ولا يمكنها الابتعاد وحيدة . . . كانت قاتمة اللون، مخططة . . .

وأحست ليوني بخيبة أمل . . . كانت تفضل أن تكون في هذا لوحدها . . . لا يمكن بأي حال ان يصبحا حليفين . . . مع ذلك فمشاعره، وتصرفاته، مماثلة لها . . . وقالت ببرود :

ـ شكراً لقولك هذا لي . . . أترك الأمر لي الآن . . ومن الأفضل أن ننسى . . .

ـ كما تشائين . . ومن الأفضل أن نتحرك قبل أن تتساءل الجدة ما الذي أخرك . تعالي .

كل رغبة للرسم في نفس ليوني تلاشت . . . نصبت حمّالة الرسم بعد ظهر ذلك اليوم . . وجلست تحدق بالقماش أمامها . . .

داغ عاد إلى العمل في المنزل الصغير، جدتها نائمة، دورين وزوجها يستمعان إلى الراديو في المطبخ . . . كل شيء هادىء . . وتصفحت ليوني رسماتها التحضيرية، ثم أبعدتها إلى الطاولة . . . لا فائدة . . . لم تكن في مزاج للعمل . تنهدت . ثم رن جرس الهاتف . وتابع الرنين، فأسرعت تلتقط السماعة في الممر خارج غرفتها .

ـ آلو . . ؟

سمعت أصواتاً فارغة عبر السماعة، ورنين بعيد، ثم صوت امرأة، يقول بطريقة متعالية قليلاً :

ـ مسيو كابريل . . لو سمحت .

لم تحتج ليوني إلى سحر ساحر كي تعرف من المتكلمة .

ـ أنا آسفة . . انه ليس هنا الآن . . هل آخذ رسالة له؟

سمعت صوتاً ينم عن سخط، مجرد نفس عميق يعبّر عن الإنزعاج :

ـ الأمر مهم جداً . . اتسمحي أن تقولي له أن يتصل بي . . ؟

قولي له مدام برايانت . . . ب . . . ر . . ا . . .

ـ أعرف كيف اتهجاها . . . شكراً لك . . أيعرف رقمك؟

ـ أجل . . هل أنت الخادمة؟

أبعدت ليوني السماعة عن أذنها ونظرت إليها بغضب . . . ثم وبكل عذوبة، آملة أن تصل لهجتها الساخرة عبر الأميال، ردت :

ـ لا . . . أنا أقيم هنا معه . . وسأتأكد من وصول الرسالة إليه . . . وداعاً .

وعلقت السماعة . . . إذن هذه هي شريكته . . متعجرفة مثله تماماً . . التقطت رزمة الأوراق عن الطاولة وكتبت :

«داغ . . أرجو أن تتصل بالسيدة برايانت»

وتنهدت، لا تزال تحس بالامتعاض لأخلاق المرأة الكريهة .

وخرجت من المنزل نحو البيت الصغير . . . وصعدت السلم إلى فوق، دون أن تعي أن المنزل صامت، وفتحت باب غرفة النوم، لتجد داغ راكعاً قرب المدفأة، ويداه مضمومتان أمامه :

ـ داغ .

ـ أصمتي .

أقفلت فمها مجفلة، وأخذت تراقبه . . ثم تنهد راضياً :

ـ آه! افتحي النافذة أرجوك .

ـ ما الأمر؟

ـ وقع عصفور من المدخنة، والتقطته، انه دائخ قليلاً .

فتحت النافذة، وراقبته يفتح راحتيه والعصفور الصغير داخلهما، ويمدهما إلى الخارج . تطلع العصفور حوله متأكداً أن آسره لن يقتله، ثم

انتفض، وطار بعيداً .

التفت داغ نحوها :

ـ والآن . . أتريدين شيئاً؟

لم ترد ليوني للحظات . . بالرغم من كل شيء . . . كل كراهيتها لعجرفته وتصرفاته التي لا تطاق . . تأثرت لاهتمامه . بمخلوق عاجز . . ثم هزت نفسها .

ـ استلمت رسالة هاتفية لك . . من مدام برايانت . .

قاطعها عابساً :

ـ ماذا تريد؟

ـ لست أدري . . لم تقل لي . . . ربما لأنها ظنتني خادمة ما . . قالت إن الأمر عاجل، وتطلب ان تتصل بها . . فجئتك فوراً .

ـ شكراً لك . . سأذهب الآن .

استدار ليفتح الباب ويقف!

ـ من بعدك . .

أحست بالغضب لبروده، حتى انها مرت من أمامه وركضت السلم ثم خارج المنزل . ولحق بها . . وأحست انه يعرف . . يعرف مشاعرها تماماً . . وهذا أصبح أكثر إخافة من مشاعرها .

ـ اخبريني لم أنت غاضبة؟

ـ غاضبة؟ ولمَ أغضب؟

ـ أوه . . بلى . . أنت غاضبة . . . . هل السبب انك انزعجت من اضطرارك إلى المجيء لإبلاغي الرسالة ؟

ـ لا تكن سخيفاً . . . ! لم يزعجني هذا . . ! أنا فقط . . .

ـ الشرر يتطاير منك . . استطيع رؤيته . .

ـ إذن، لك مخيلة ناشطة . هذا كل ما استطيع قوله . . . أنا لا أعرف

ما . . .

ـ بلى تعرفين، ويجب أن تتعلمي كظم غيظك . . سيظهر كل هذا على وجهك قريباً . . .

ـ لست بحاجة إلى محاضرة منك! شكراً .

واستدارت عنه بسرعة كي لا يرى في عينيها شيئاً لا ترغب في ان يراه . . لكنه أمسك ذراعها وأدارها نحوه . . وابتسم . . . فرفعت يدها المحررة لتفعل ما تاقت دوماً أن تفعل . . . وضربته بكل قواها على وجهه . ثم وقفت تواجهه مقطوعة الأنفاس، تظن أنه قد يرد لها الصفعة . . .

لكنه لم يفعل، لكن الغضب الشديد بدا في عينيه . . غضب كاد يبتلعها، يملأها، يحتويها . . . وأحست باشتداد قبضته على ذراعها، وكانت يده ترتجف من الغضب . . لكنه قال بصوت هادىء عميق .

ـ حسناً . . الآن ضربتني . . . واكتفيت . . . لو كنت رجلاً لما كنت الآن واقفة على قدميك . . . . صدقيني . أنت امرأة، وأنا لم أضرب امرأة في حياتي، ولا أظن انني سأفعل . . لكن لو ضربتني ثانية . . ستندمي . . فأنا لا أحب أن يصفعني أحد على وجهي . . . خاصة أنت . . . كما انني لست واثقاً أنك امرأة . . طريقة لبسك، كلامك، مظهرك . . .

وحدث ما حدث ثانية دون وعي منها . . ضربته ثانية . . وكادت تصرخ خوفاً وهي تفعل . وأمسك بها بخشونة، دون أي أثر للطف، وسمعته يتمتم شيئاً . . . وفي لحظة كان يعصرها بين ذراعيه، وكأنه يعاقبها بسحق عظامها على جسده القاسي، يستنفذ بهذا كل قوة فيها . وأحست بالضعف، كذلك، ولرعبها، بإحساس حيواني . . . متحجر لا يرحم، أحست بوجوده فيها واخافها في نفس الوقت . . . وأحست

بنفسها تدوخ . . وتقع . . تقع . .

تركها فجأة . . فانهارت على الأرض، حين خانتها ساقاها . . . وقبل أن تسترد أنفاسها . . . كان قد أمسك بها ليرفعها إلى قدميها . . وشد يداه على ذراعيها يهزها .

ـ أرأيت ما قد يحدث في المرة القادمة؟

وتركها مجدداً . . وابتعد . . ليتركها واقفة، مرضوضة ضعيفة، مهزوزه .

لم تستطع الحراك . . بل انها لم تجرؤ ان تتحرك .

٤٠

الشرسة!

نظرت ليوني إلى جدتها مرتعبة !

ـ غداً عند الظهر؟

ـ أجل عزيزتي، السيد فورسيل يعمل الآن مع داغ . . وكل شيء جاهز، سننطلق بالسيارة نحو غلينشيز، نمضي ليله هناك، ثم إلى بيرث . .

لم تعد ليوني تصغي إلى جدتها . . وأحست بالبرودة والرعب يجتاحانها . . كانت تأمل في سرها أن تغير جدتها من خططها .

ـ هل أنت مصغية عزيزتي؟

ـ أنا . . أجل جدتي .

ـ وفي المساء تجولين مع داغ في المنزل لتسجلا ما فيه من أنتيكان وتخمينه لقيمتها . . . أنت واثقة انك على ما يرام؟

صاحت ليوني!

ـ أنا لا أطيقه .

www.ebtty.com

ـ حسناً . . . أجل . . لاحظت هذا . ولا استطيع فهم السبب . انه فعلاً ولد فاتن . . .

ولـد . . ؟ قاومت ليـوني اندفـاعاً نحـو ضحك هستيري ! ولـد؟ . .

وأكملت العجوز :

ـ وإلا لما حلمت ان أتركك معه لوحدكما، لي ملء الثقة به، كما انه طباخ ماهر . . هكذا لن يكون الأمر صعباً . . . بإمكانك الرسم بهدوء خلال النهار، ثم تتبادلا الأدوار في تحضير الطعام .

انفتح الباب ليدخل داغ، ينظر رأساً إلى ليوني !

ـ عذراً . . هل قاطعتكما في شيء؟

ابتسمت الجدة :

ـ لا . . طبعاً لا . . . ادخل . كنت أتحدث مع ليـوني عن ترتيبات الغـد . كل شيء سيسير على مـا يرام، أنـا واثقة . . ثم انني لن أتـأخر كثيراً .

سألها بصوت عميق :

ـ آه . . أنت مسافرة في الغد إذن .

ـ أجـل . . وكنت أقول لهـا كم أنت ماهـر في الطبخ . . هـل آذيت وجهك داغ؟ هناك كدمة زرقاء .

ـ آه . . . أجـل، لقد اصـطدمت بشيء . . . نسيت مـا هـو لا شيء مهم .

لكن عينـاه كانتـا تقـولان الكثير في وجـه ليـوني . . تلك النـظرات الحاقدة كانت ترسل ذبذباتها إليها عبر الغرفة . عيناه كانتـا تقولان لهـا : ستندمي . . وقالت الجدة :

ـ آوه عزيزي دعني أرى جيـداً . . . ليوني اذهبي واطلبي من دورين محلول شجر الصفيراء، مع قليل من القطن .

قال داغ :

ـ أرجوك . . لا . . الأمر لا يستحق . . .

ـ أنا مصرّة .

بصمت خرجت ليوني من الغرفة تسمع ضحكته من وراء الباب .

ـ حقاً سيدة وايلد . . لا يجب أن تقلقي . . .

كـان جيفري يجلس قـرب الطاولـة يرفـع قدميـه . . . اسكتلنـدي عجوز لطيف . . وحاول القيام !

ـ لا تتحرك . . جئت آخذ شيئاً لجدتي فقط . . بعض محلول شجـر الصفيراء . . وقطن .

ـ أجل . . انه في الخزانة هناك . . أهي كدمة؟

ـ أجل . . أصيب السيد كابريل بكدمة .

ـ آه . . انه أفضل علاج . . لا شيء يضاهي العلاج القديم . . .

ـ هذا صحيح . . شكراً جيف .

حين عادت إلى غرفة الجلوس قالت الجدة لداغ :

ـ ليوني ستدلكها لك . . عيناي لم تعودا كما كانتا .

للحـظات مشحونـة بالكهـرباء، نـظر الخصمين إلى بعضهـما . . ثم وقف داغ على قدميه . . وابتسم لليوني بحرارة :

ـ أنت لطيفة جداً .

ـ الأفضل أن تتقدم نحو النور . لا أريد أن أضيع مكان الكدمة .

تقدم نحو النور :

ـ هكذا أفضل؟

ـ أجل . . .

بللت القطن بالمحلول الذي لا لون له . وأعطته الزجـاجة يحملهـا . وتنفس عميقاً . وبدأت تدلك الكدمة بـالمحلول . وتلاقت عيـونهما . . .

وكأنهما لوحدهما . . اثنان فقط، الوحيدان في العالم. كل شيء حولهما تلاشى، الحقيقة الوحيدة الصلبة أمامها كانت داغ، يقف أمامها . . رأسه منحن قليلاً وهي تربت القطن المبلل فوق نتيجة ما صنعته يدها. وسأل بصوت مهذب :

ـ هل سيشفي هذا الرضة؟ هل هو مفيد؟ يجب أن أتذكر هذا . . . .

عيناه كانتا تتحديانها للرد، فردت ببطء :

ـ عليك أن تكون حذراً . كيلا تصاب برضة مماثلة .

وكان كلامهما على نفس المستوى، كلاهما يعرف ما يعنيه .

ـ هاك . . .

ورمت قطعة القطن المبللة في النار، لتكمل :

الأفضل أن اذهب لأغير ملابسي الآن. لو سمحتما لي . . .

اختارت ان ترتدي التنورة القطنية الزرقاء المشجرة . لطالما جعلتها تبدو أكثر نحولاً . . ومعها بلوزة زرقاء عادية . . . نظرت إلى نفسها في المرآة، لتلاحظ إحمرار وجنتيها . . طبعاً هذا لأجل إرضاء الجدة . . فهي طالما أحبت اللون الأزرق عليها . . أما رأيه هو، فلا تأبه له .

كانت الجدة وداغ يخرجان من غرفة الجلوس حين نزلت. ولاحظت ثبات عينا داغ عليها . . للحظات أحست بلمعان شيء فيهما، قد يكون الإعجاب . . لكنه تلاشى بسرعة وكأنه لم يكن . . ودخلوا غرفة الطعام .

أشرقت شمس يوم الاثنين برّاقة صافية، برغم برودة الجو . . . ووقفت ليوني تراقب جيفرو ينظف الرولز القديمة الرائعة بعناية . . وأحست بجفاف فمها . . . بعد بضع ساعات، ستكون لوحدها مع داغ .

لكن . . لديها عمل تقوم به . . وبدلاً من الوقوف تفكر بصعوبات الأيام المقبلة، عليها ان تنهيه . . . ليل أمس، وبعد نوم الجميع، تسللت إلى المطبخ، وللمت ما تبقى من طعام اليوم، لفته بحذر ووضعته في سلة القمامة . . ثم حملت السلة لتفرغها على مسافة قصيرة من المنزل الصغير . . وتركت كل شيء على الأرض . . . وبإحساس كالمجرم، تسللت عائدة إلى المنزل الكبير .

الآن عليها ان تذهب لترى ما إذا كان الطعام ممسوساً . . . فغادرت المنزل بهدوء، وكأنها تخرج في نزهة . واتجهت إلى المنزل الصغير . . وسمعت صوت ضربات المطرقة من بعيد وأصوات رجال . وتساءلت كيف سيتفق فورسيل مع داغ . . . صحيح أن فورسيل هادىء لطيف، إلا انه عنيد ورجل مكابر . وداغ . . كيف هو؟ انها تعرف هذا . وكل ما تأمله، ولمصلحة الجدة، أن يشكم طبعه السيىء، ويعمل متناغماً مع الرجل الآخر .

كان الطعام قد نفذ كله . . . ونسيت كل شيء آخر وهي تقف تنظر إلى المكان الذي تركته فيه . . لم يبق منه شيء . . حتى انها تساءلت ما إذا كانت تنظر إلى المكان الصحيح . . إلى أن انحنت لتتمعن في آثار المخالب على الأرض . . . ووقفت . . . مسرورة . . . جيداً . . . في المرة القادمة ستحضر الطعام وتنتظر مختبئة، لتعرف ما يحصل .

استدارت لتعود، فكادت تصطدم بفورسيل حين اقتربت من المنزل الصغير . ألقى عليها تحية الصباح معتذراً وقد احمر وجهه . انه عادة معقود اللسان مع النساء، خاصة معها، والتي بدورها بالرغم من كراهيتها للرجال، لديها نقطة ضعف نحوه. ففي سن الثلاثين لا يزال يعيش في كوخ صغير مع أمه قرب النهر القريب من القرية .

ـ أوه . . . مرحباً فورسيل . . كيف يسير العمل؟

ـ جيد بما يكفي . . سأذهب لأتصل ليرسلوا لي بعض الخشب، اتظني جدتك قد تمانع؟

ـ بالطبع لا . . أنا ذاهبة إلى هناك الآن . . انها مسافرة لبضعة أيام. هل أخبرتك؟

ـ أجل . . لكنك لن تكوني لوحدك في المنزل . . أليس كذلك؟

كان هناك بضعة متسكعين في الجوار، وبضعة سرقات. لطالما قلت لها ان تربي كلباً، لكنها لم تستمع إليّ .

ضحكت ليوني :

ـ ولن تفعل . . لا . . لن أكون لوحدي، فالسيد كابريل مقيم هنا أيضاً . . جئت لأقوم ببعض الرسم هنا .

ـ حسناً . . ستكون دورين هنا . . أليس كذلك؟

ـ لا . . فهي وجيفرو سيوصلان جدتي .

وأحست بلحظات رعب وهي ترى الصدمة على وجه فورسيل . . وكانا قد وصلا المنزل الكبير . . فقالت تطمئنه .

ـ اوه . . سأكون على ما يرام . . لا تقلق .

سرعان ما غادرت الجدة، وأقبل المساء . فدخل داغ المطبخ يحضر الطعام، وانطلقت ليوني نحو الأشجار تحمل ثلاثة علب مفتوحة من طعام القطط الجاهز .

عندها حصل شيئان، بطريقة ما، إثرا على حياتها . . . شاهدت عائلة القطط المتوحشة . . ووصل المتسكعون .

كانت ليوني مختبئة خلف دغلة من شجيرات صغيرة تطل على المكان الذي وضعت فيه الطعام، قلبها يخفق بسرعة . كانت قد أفرغت الطعام في ثلاثة كومات وأعادت العلب الفارغة معها إلى ما بين الشجيرات. ومرت نصف ساعة تقريباً، وأخذت تحس بالبرد . . .

بضعة دقائق أخرى ونظرت إلى ساعتها على ضوء القمر . . الساعة قاربت الثامنة . . ربما لن تظهر القطط إلا في ساعة متأخرة . . ربما سيتناول داغ عشاءه لوحده . . انها ليست جائعة .

كانت على وشك الاستسلام والعودة، حين شاهدت طيفاً يقترب، ثم آخر، ثم آخر أصغر حجماً . . فحبست أنفاسها بعد أن رفع القط الأول رأسه يتشمم الهواء حوله . . وأطلق الثاني هرهرة تحذير . . وكأنه يقول . . اسرع . . ثم انقضوا على اللحم . . راقبت بذهول المخلوقات الثلاثة الصامتة وهي تتناول طعامها . . إلى أن ابتلعت آخر لقمة، وانسحبت بصمت كما قدمت . . فاستدارت لتذهب وهي تتساءل ماذا سيحدث لو وضعت لهم الحليب كذلك . . . انها فكرة .

تحمل العلب الفارغة، عادت أدراجها إلى المنزل . . لكنها سمعت صوتاً خفيفاً أمامها . . فتوقفت . أهو قط آخر؟ ثم صوت صفير آخر . . فسرت القشعريرة في ظهرها . . لم تكن ترى شيئاً، لكنها سمعت رجلين يتكلمان . . يمكن ان يكونا داغ وفورسيل . . لكنهما لن يتكلما همساً . صوت زحف فوق العشب . . تحطم أغصان صغيرة . . وفي ضوء القمر . . أمامها تماماً شاهدت طيفاً أسوداً رجل، ثم آخر . في تحركاتهما استراق مريب . . وكانا يدخلان المنزل الصغير . . . ما عليها سوى الانتظار قليلاً ثم الركض إلى المنزل الكبير لتخبر داغ ليتصل بالبوليس في القرية . . وجمدت حيث هي، يداها مشلولتان من البرد . . وقعت علبة فارغة، وقعت فوق الأرض بصوت أجوف .

سمعت صيحة تحذير، وبدأت تركض، مبتعدة عن المكان . . لكن وقع الأقدام كانت تقترب منها . . وصاحت باسم داغ . . تكاد لا تعي ما تفعل . . في لحظة، تعثرت وانبطحت على وجهها فوق الأرض .

سمعت ضحك الرجلين . . وهذا أسوأ ما حدث لها وبقيت مستلقية

فوق الأرض دائخة، ثم وصل أحدهما ورفعها قليلاً، وسمعت صيحة انتصاره، وأحست بالغثيان لرائحة أنفاسه المتعفنة. . لم يكن معها سلاح سوى يديها وقدميها، فتحركت بقوة لتحرر نفسها من قبضته، لكن الآخر تقدم وأمسك بها من الخلف وهمس!

ـ لا تصرخي. . . وإلا ستكون صرختك الأخيرة. . هه؟ أسمعت أيتها العا . . . .

ـ النجدة!

صاحت بكل ما تملك من قوة في رئتيها، ثم أخذت تصرخ مولولة. . يد قذرة وضعت على فمها. . فعضتها بقوة وقاومت. . لكنها أخذت تضعف وصدمتها يد على وجهها. فشاهدت النجوم تدور حولها ثم داخت. . وعرفت انها تقع، وعرفت انها يجب ان لا تقع. . ثم سمعت أجمل صوت سمعته في حياتها. . . صوت داغ يصيح!

ـ ليوني. . ؟ أين أنت . . .

مع آخر ذرة من قواها صاحت شيئاً. . لا تعرف ما هو. . وتركها آسرها لتقع أرضاً وهو يلتفت ليواجه داغ. من حيث هي على الأرض، شاهدت الرجلين ينقضان عليه، وفي آخر لحظة وعي لها، فكرت انهما اثنان ضد واحد. . ولن يكون له أمل . . .

ـ ليوني. . . ليوني.

شخص ما هزها. . . ثم تابع!

ـ أنت سالمة. . . أنت سالمة. . . أتسمعيني؟

بجهد كبير قالت:

ـ رجلان . . .

ـ لا تتكلمي. . انهما فاقدا الوعي، وسأحضر شيئاً أربطهما به. . ثم أعود إليك. . أتسمعي؟

ـ لا. . لا تتركني هنا لوحدي . . .

ـ سأحملك إذن إلى المنزل.

شاهدت الرجلين مستلقيان على الأرض دون وعي وكادت تتقيأ.

ـ ضعي ذراعك حول عنقي.

وغمرها الارتياح في موجة حارة. . فهمست:

ـ شكراً لك.

أغمضت عينيها وهو يضعها على الأريكة وأراحت رأسها إلى الخلف . . . كانت تحس بالخدر في كل جسدها. . وطعم الدم في فمها. . لكنها لم تكن قادرة على تحريك يدها لتتأكد من سلامة أسنانها. . وهكذا انتظرت، وانتظرت، عودة داغ إليها. .

ـ اشربي هذا ليوني. .

الصوت أيقظها من إغفاءتها لتجد داغ يحمل كأساً:

ـ ما هذا؟

ـ بعض الليمونادة. . ستفيدك. . اشربيها. . أرجوك.

أخذتها منه وشربتها تحس بالعطش الشديد ثم أعادتها إليه:

ـ أين الرجلان؟

ـ مقيدان أمام الباب. . بانتظار مأمور الشرطة ليأخذهما.

ـ هل اتصلت به؟

ـ أجل.

ـ ظننتك لم تسمعني أصرخ.

ـ كنت خارجاً أفتش عنك حين سمعتك تصرخين باسمي، ثم تولولين. . . للحظات ظننتك تمزحين. . . ثم شاهدت ثلاثة أطياف تتصارع. . فركضت إليك. . وتركاك حين وصلت وانقضا عليّ.

ـ وهل تأذيت؟

ضحك :

- أنا؟ لا . . فلدي بعض الخدع التي لا يعرفان بها . فمك ينزف دماً!

- أجل.

- هل أصاباك بأذى بالغ؟

- بعض الكدمات، لا شيء غيره .

سمعت صوت تنفسه الحاد :

- أظن . . طيباً . .

- لا . . . سأكون بخير . . لا يجب أن نثير ضجة حول الأمر . . فلو عرفت جدتي . .

- فهمت . . طبعاً . . لكن يجب أن تصعدي إلى فراشك . . . . عندها سأتفحصك . .

- لكنني . . . .

- لا تجادلي . ألم يكفك شجار واحد لهذه الليلة!

بطريقة ما، لم تمتعض من مشادته، بل بتقبل أوامره . . ولرعبها . . انفجرت بالبكاء . . في لحظة كان يحملها بين ذراعيه ثم يصعد بها السلم .

استلقت في الظلام تنتظر . . . كل قوة في جسدها تخلت عنها . . وتوقفت الدموع . وأخذت معها كل التوتر والخوف . . وانتظرت . . .

استيقظت على صوت ناعم!

- ليوني؟ لقد ذهبوا . . . وأقفلت المنزل جيداً . . . أنت الآن آمنة .

أغمضت عينيها ثانية . . آمنة؟ معه؟ انها سخرية الأقدار . . . كيف تقول له انها تخافه أكثر وهي بنفسها لا تعرف السبب؟

وهزت رأسها :

- سأكون بخير الآن .

ما كانت تريد قوله : دعني وشأني، لكنها لن تقول هذا . . . لن تجرؤ على قول هذا .

- أجل . . ستكون بخير بعد أن أعالج . .

- لا . . استطيع تدبير أمري . . . سأغتسل . . . .

- تعالي إذن إلى الحمام، دعيني أنظر إلى فمك، بعدها . .

- انه بخير . . شفتي فقط فيها جرح .

انحنى نحوها، ومد ذراعيه ليمسك بها، فتملكها الذعر !

- لا . . . دعني . .

ودفعته بعيداً . . . لكن يديها اصطدمتا بصدر صلب، وذراعين مشدودتي العضلات . . . ثم أصبحت بينهما، وهو يحملها . وسمعته يضحك :

- لن تتمكني من مقاومتي . .

- أنزلني! ألا تفهم . . دعني وشأني !

- أفهم أنك مخلوقة حمقاء عنيدة . . . شرسة كقططك المتوحشة . . ماذا تظنين انني أنوي؟ اغتصابك؟ أهذا أنت خائفة ؟

فجأة، دون سابق إنذار، عرفت لماذا تحس بالخوف . . فهي لم تنجذب من قبل إلى رجل، ولم تحس يوماً بضعف الشوق . . كانت دائماً تسيطر على نفسها . . أما الآن . . . فهي تحس بوجوده كما لم تحس بوجود أحد من قبل . . . وأوقفها أمام النور في الحمام، فانتظرت كليلة الاحساس . ثم غمس قطعة قماش رقيقة في المياه الباردة وأخذ يمسح أطراف فمها، أصابعه كانت تحرقها كالنار وهو يسند ذقنها من الجهة الأخرى، وأرسلت لمسته موجات صادمة إلى كل جسدها . أنفاسه كانت متسارعة . . . وكأنه أحس بشيء . . . ثم قال بصوت أقل ثباتاً . . أم انها تخيلت هذا؟

ـ هاك . . انه جرح صغير وسيشفى قريباً . . بلوزتك ممزقة ، دعيني أرى كتفك . . أرجوك .

دون وعي فكت أزرار البلوزة وأبعدتها عن كتفها وسمعت شهقته الحادة الصامتة .

ـ آه . . لقد ضربك إذن . هناك كدمة سيئة .

ارجعي إلى غرفة النوم ، سأذهب لأحضر المحلول الأصفر . . . .

صححت له :

ـ إنه محلول زهر شجرة الصفيراء .

ـ أجل . . هذا هو . . تركته في غرفة النوم بعد ان عالجتني به .

اجلسها فوق السرير وقال :

ـ إخلعي البلوزة . . سأعود بعد دقائق . . . لكنني لن أضيء النور . . هل فهمتني؟

همست :

ـ أجل .

عاد بعد دقائق يحمل المحلول والقطن ، وجلس قربها على السرير :

ـ إجمدي . . . ارى اللطخة بوضوح . . سأكون رقيقاً قدر استطاعتي .

لم تكن تريده أن يلمسها ثانية . . فهي خائفة . .

ـ سأفعل هذا بنفسي .

ـ لا . . لن تفعلي هذا .

وببطء متعمد وضع القطن على فم الزجاجة . . . فأجفلت ليوني . . . وأحست بدوار يغمرها .

ـ ٥ ـ

فائق الكفاءة

حين عاد داغ بعد قليل ، كان يحمل صينية عليها طعام العشاء الذي فاتها .

ـ أتودين تناول الطعام لوحدك؟

ـ أجل . . أنا أفضل حالاً الآن . . شكراً لك .

لقد استعدت قواك بسرعة .

ها قد عاد الأمر بينهما ثانية . . تلك اللهجة في صوته ، تلك المواربة في الكلام التي تفهمها هي فقط ، تلك الكلمات المختبئة فيما بينهما . . .

نظرت إلى الطعام :

ـ يبدو لذيذاً . . لا بد انني جائعة ، ولم أدرك هذا سوى الآن .

وضع الصينية على ركبتيها الممدودتين فوق الفراش ، ورفع الغطاء عن الأطباق : دجاج مع الخضار وتفاح مسلوق .

ـ سأدعك تأكلين بهدوء . . شهية طيبة .

ثم خرج . . فبدأت تأكل ، بحذر متجنبة الجرح في شفتها . حين

أفرغت الصحون، وضعت الصينية على الأرض . . ثم وقفت لتسير حول الغرفة . . الآن ماذا ستفعل؟ أتبقى في غرفتها؟ الوقت مبكر . . وهي تستعيد قوتها بسرعة من صدمة ما حدث . . لكن الأمر الأخر . . المعرفة . . الاحساس المفاجيء . . انه شيء مختلف . . لكنها ستتمكن من تحليله، ليس الآن، فيما بعد ربما، من الأفضل ان تنزل الصينية إلى المطبخ . . فقد يغيّر هذا أي فكرة ترسخت في رأس داغ . . لقد شاهدتها في عينيه . . تفهم عميق . . . وكلما نزلت إلى تحت في وقت أسرع كان الأفضل لها . كلما عاد كل شيء إلى طبيعته أسرع . . كان هذا أكثر أفعالها . . لكن ما هو الطبيعي مع داغ؟

كان داغ يضع الفحم في الطباخ حين دخلت المطبخ .

ـ ما كان يجب أن تنزلي إلى هنا .

ـ أنا بخير . كنت جائعة، هذا كل شيء . . ويخنة الخضار مع الدجاج كانت رائعة . . أبقي منها شيء؟ أعني للقطط .

ابتسم :

ـ ألا تظنين انها كثيرة البهارات بالنسبة لهم؟

ـ هناك الكثير من الدجاج فيها، إلا إذا كنت تريد إبقائها إلى الغد .

ـ لا . . لكنك لن تخرجي لوحدك ثانية في الليل .

ـ لن يعودا . . انهما مسجونان الآن . . أليس كذلك؟

ـ بلى . . . لكن قد يكون هناك غيرهما . . لذلك من الأفضل ان تبقي داخل المنزل بعد حلول الظلام . . .

ـ أتحاول ان تفرض عليّ ما يجب أن أفعل؟

التفت إليها ببطء، وقد رفع حاجباه :

ـ أفرض عليك؟ حسناً . . . أجل . . . أعتقد انني سأفرض عليك . ألا تظنين أن هذا من حقي . . بعد ما حصل؟

تنفست بحدة :

ـ لقد شكرتك . . وأقدّر لك مساعدتك . . لكن . . .

ـ لكنك لا زلت عنيدة . . . انظري إلى نفسك، فم مجروح كتف وذراع مرضوضين . . . وربما تعانين من صدمة . . .

ـ كما قلت أنت، أنا استعيد عافيتي بسرعة .

ـ أجل . . أنت قوية، لا استطيع الإنكار . .

أحست بتيار التوتر ثانية يملأ الغرفة، وقاومت ليوني لأجل أن تبقى هادئة . وقال لها :

ـ لماذا لا تجلسين؟ وضعت الإبريق فوق النار . . وسأصنع القهوة . ومعها، أنصحك . . لاحظي أرجوك، لم أقل أفرض، بل أنصحك . . أن تأخذي قرصين من الأسبرين أو أي شيء آخر .

ـ حسناً . . سأفعل .

سمعت صوت صفير الغلاية، وما هي إلا لحظات حتى تقدم منها بكوب كبير يتصاعد منه بخار القهوة .

ـ إشربي هذا .

ـ لكنها قهوة سوداء! وأنا أفضل . . .

ـ القهوة الصافية دون حليب أفضل للصدمة .

ـ لكنني لا . . . .

ـ إذن آن لك أن تجربي .

وجلس على المقعد قبالتها .

ابتلعت قرصان من الأسبرين، ارتشفت قليلاً من القهوة . . لدهشتها، لم تكن سيئة كما توقعت . . وقال لها :

ـ أنوي الليلة بدء التجوال في المنزل لتقييم الأثاث والانتيكات لكن بما انني واثق انك ستفضلين الراحة . . .

ـ لا . . . لا افضل هذا . . سأتجول معك . . ولا استطيع الجلوس كالعجائز . وسأشعر بالتحسن .

ـ كما تشائين بالطبع . أتسمحين لي بالتدخين؟

رن جرس الهاتف فوقف .

ـ سأرد أنا .

سار بسرعة ليلتقط السماعة ، وانتظرت ليوني أهي جدتها؟ أم شريكته؟ حين عاد جلس إلى كرسيه ثانية وعبق جو المطبخ برائحة سيكار عطرة . . وقال لها مبتسماً :

ـ تبدين متعبة جداً .

ـ من كان المتكلم ؟

ـ المأمور من القرية .

ـ اوه . . ماذا يريد؟

ـ يقول إن المتسكعين مسجونان . . لقد جاء بفورسيل معه حين جاء يأخذهما . . . ألم أقل لك؟ سيبقيان هنا الليلة وفي الغد ينتقلان إلى نيوكاسل لمواجهة تهمة السطو والسرقة . واضح أنهما تركا سلسلة من الجرائم ورائهما . . . انهما مطلوبان!

أحست بالصدمة :

ـ اوه . . . لا! صحيح؟

ـ أجل . . . والشيء الآخر انهما لوحدهما ، أو هذا ما قالاه . لكن قد يكونا كاذبين . . ويمكن ان يكون هناك غيرهما .

تزاحمت الأفكار في رأس ليوني ، لو لم يكن داغ هنا . . لو أن الجدة ودورين وزوجها لوحدهما . . لو لم يكن داغ قوياً كما هو . . . لو . . لو . . . نظرت إليه وقالت بهدوء كبير :

ـ كم أنا سعيدة لوجودك هنا . وسعيدة لأنك سمعت استنجادي . .

ـ أرجوك . . لم يكن هذا شيء يذكر . . لكنك لن تخرجي وحيدة مرة أخرى . . لا؟

تنهدت عميقاً :

ـ لا . . . . لن أفعل .

ـ إنهي قهوتك أمامنا عمل كثير .

حين انهيا الجولة ، التي تعمد أن تكون قصيرة قال لها :

ـ سأصنع لك شراباً ساخناً ، ماذا ترغبين؟ قهوة . . شاي . . . أم حليب مع العسل؟ بالطبع حليب مع العسل . فهذا سيساعدك على النوم .

عند أسفل السلم وقف قليلاً :

ـ اصعدي إلى غرفتك .

وتركها ليتجه إلى المطبخ ، بينما صعدت إلى غرفتها وجلست على حافة السرير . . وتطلعت حولها في الغرفة . . هذا المنزل لن يعود كما كان ، لقد أمتلأ بوجوده . . لكن سرعان ما ينهي عمله ويرحل . . ولن تراه ثانية . . إلا إذا دعته الجدة لزيارتها . . . ومن يقول انها لن تفعل؟ لماذا لم تذكره من قبل؟ ولن يجديها أن تسأل أخويها ، فهي دائماً كانت المقربة أكثر إلى جدتها . . . في الغد ستبدأ الرسم . . كلما قلّت مشاهدتها له كان هذا أفضل لها . . والتقطت مجموعة من الرسومات الأولية تفتش بينها ، واستدارت حين سمعت قرعاً على الباب :

ـ ادخل .

كان يحمل كوباً كبيراً . . ونظر إليها مبتسماً :

ـ آه . . أجل . . الرسومات . . هل لي أن أتفرج عليها وأنت تشربين الحليب؟

كيف يمكنها أن تقول لا؟

ـ إذا كنت ترغب. انها مجرد خرطشات أولية لأجل صورة جديدة . .

وضع الكوب من يده وأخذ الرسومات منها .

ـ أجل . . أفهم هذا . لكنها جيدة جداً .

ـ شكراً لك .

ـ وهل ستكون هذه غلاف كتاب . . لا؟

ـ أجل . . قصة تاريخية رومانسية .

أبعد أحد الرسمات عنه .

ـ أجل . . هذه صورة تعجبني جداً . . . لقد التقطت فيها شيئاً . . .

ـ سأستخدمها كأساس للوحتي . . وسأبدأ صباح الغد بينما أنت تعمل في المنزل الصغير .

ـ أرادته أن يذهب الآن . . . التقطت الكوب وبدأت تشرب .

ـ أنا متعبة حقاً . .

ـ من المفروض أن تكوني متعبة . . تصبحين على خير ليوني . نامي جيداً .

وخرج . . لتجلس إلى الطاولة تنهي الحليب الحلو الساخن، تحدق ساهمة في كومة الرسومات . تحس فجأة بالارهاق .

رنين الساعة المتواصل دفعها لتفتح عينيها وتنظر إليها . . انها تقارب الحادية عشرة . . الحادية عشرة؟ طوحت بقدميها عن السرير، وأحست بالألم . . لكنها جائعة، فارتدت روبها والخفين . . ونزلت .

رائحة شيء لذيذ يُطبخ في المطبخ جذبتها . . لكنها وجدته فارغاً . . النار مشتعلة ، كل شيء في مكانه، لكن رسالة كانت مستندة إلى ابريق القهوة . فالتقطتها لتجد فيها : «أنا أعمل مع فورسيل، وجدتك نائمة، فلم أوقظك . الغداء ينضج في الفرن داغ» رسالة قصيرة محددة

المعالم . والخط رائع . وساورتها فكرة مجنونة . . لماذا لا ترسلها إلى صديقتها مونيكا . . لقد درست علم الخطوط، ولا بأس في ان تحلل لها شخصية داغ عبر رسالته المختصرة . . عناد، تهور، وتصميم، هذا هو تحليلها لها عبر خطها . . وتعالى صوتها :

ـ فلنرى ماذا ستعرف عنك إذن .

وقرنت القول بالفعل، فأحضرت مغلفاً . . ورقة وقلماً، وسطرت لصديقتها رسالة صغيرة ثم ختمت المغلف وعنونته أخرجت طابع بريد من حقيبتها ولصقته على المغلف بباهم أصابعها . . هاك . . لقد ختمته !

موضوع أفكارها دخل من الباب الخلفي ونظر إليها :

ـ آه . . لقد استيقظت إذن . . أتشعرين أفضل حالاً؟

ـ أجل . . شكراً لك .

ـ جئت أصنع الشاي لفورسيل ولي . قرأت رسالتي؟

ـ آوه . . أجل . . .

وبدا لها المغلف على الطاولة فجأة كبيراً . . ضخماً . . وكأنه يقول له : انظر إليّ .

ـ قال لي فورسيل، أن سيارة شرطة أتت من المدينة لتأخذ اللصين وغادرت بهما الآن إلى نيوكاسل . . وأخذت بعض الطعام هذا الصباح لقططك .

لم تستطع سوى ان تصيح !

ـ قططي ؟

كان يصب الماء المغلي في إبريق الشاي فرد عليها !

ـ أجل . . أحدهما كان ينتظر . . . مختبئاً بالطبع . أحسست بوجوده . . ابتعدت قليلاً ثم عدت لأجد الثلاثة معاً .

- ألم يسمعوك؟

ابتسم بخبث !

- أتحرك بصمت حين أريد .

- أكانت القطة الصغيرة موجودة؟

- أجل . . يبدو انهم أحبوا يخنة الخضار بالدجاج . . يجب أن أضع لها المزيد .

- شكراً لك لاطعامها . . كان يمكن أن أخرج فيما بعد .

- ليس من الحكمة أن تتركيها تعتاد على من يطعمها . . فحين تذهبين، ماذا سيحصل؟

نظرت إليه مذهولة :

- لقد فكرت في هذا . . لكنني لم أكن أود أن يقبض عليها أحد . . . وكان هذا أفضل ما أفعل .

- مرة واحدة في اليوم تكفي . . عليها إيجاد طعامها الباقي لوحدها . لكنها على الأرجح ستبتعد الآن عن القرية .

- ولو شاهدها فورسيل ؟

- سأطلب منه أن يكتم الأمر . نحن متفقان جيداً . . آه أتودين إرسال هذه الرسالة؟ سآخذها الآن، فبعد الشاي سنذهب إلى القرية لإحضار الخشب أتريدين إحضار شيء لك؟

- لا شكراً . . .

- عظيم . . سأرسل هذه لك إذن، لو سمحتي؟

- طبعاً . . طبعاً .

اعطته الرسالة . . . كم من السخرية ان يكون هو من يرسلها .

وهو يخرج قال :

- هناك وعاء طعام في الفرن . . أظنه سيعجبك .

القطط حصلت على طعامها . . الغداء في الفرن . . الرسالة سترسل . . يبدو أن هناك كلمة أخرى تنطبق عليه الآن :

فائق الكفاءة !

٦٠.

حلم أحلامي!

كانت الهدنة لا زالت سائدة خلال الغداء . . لكنه بدا مشغول الفكر بالعمل الذي يقوم به مع فورسيل . . وامضت ليوني طوال قبل الظهر تحاول ان ترسم شيئاً، دون نجاح . . وقررت أن لا شيء ستسمح له ان يزعجها بعد الظهر . . . ستركز كل تفكيرها . . ستركز حقاً . . على عملها .

لكن حتى لو كان داغون فائق الكفاءة، لأجل احترامها لنفسها، لا يمكنها أن تتركه يقوم بكل العمل لوحده وقررت أن تطبخ العشاء هذه الليلة .

كان هناك شيء ملطف لأعصابها وهي تحضر أدوات الرسم . . هاك . . لقد أصبحت جاهزة نور الشمال القوي كان ينصب على قماش اللوحة في الزاوية الصحيحة . . كل ما عليها أن تفعل الآن هو أن تنقل أفكارها على القماش . . وثبتت الرسمة التي شاهدها داغ على زاوية القائم . . وبدأت تعمل . . ولساعتين متواصلتين توقف الزمن عن

الوجود بالنسبة لها .

ـ اوه . . . ؟

وتطمت وهي تتأوه . . ثم وضعت ريشتها من يدها . قبل أن ترهق نفسها كلياً . . يجب أن تحصل على قليل من القهوة . . لم تتأخر سوى دقائق تصنعها في المطبخ . ثم عادت تحمل الكوب إلى غرفتها . . فتحت الباب، دخلت . . ثم وقفت أمام اللوحة لترى ماذا صنعت . . وكاد الكوب يقع من يدها .

ولما بدا لها أجيالاً . . وقفت مسمّرة تنظر إلى اللوحة غير قادرة على الحركة، ثم رفرفت عينيها واحتست قليلاً من القهوة . . لا بد أن نور بعد الظهر يتلاعب بالظلال . . . .

لا يمكن أن يكون ما تراه صحيحاً . . لكنه هناك . اعادت النظر . ما من مجال للخطأ . . كان وجه داغ ينظر إليها من اللوحة . . ذلك الطيف الطويل الداكن الصورة الذي تمتعت برسمه . . والبطلة، تجلس على صهوة جواد . . . . كانت ليوني بنفسها . .

وشربت ما تبقى من القهوة، ثم وضعت الكوب من يدها . ونظرت ثانية .

لا . . ليس هناك أي خطأ . . ! آوه . . يا الله ! تقدمت لتجلس على السرير لتفكر بالأمر . .

لأول مرة منذ أسابيع . . سار كل شيء على ما يرام . . لقد استمتعت بكل لحظة من رسمها . . وعرفت انه سيكون رائعاً . . وهو رائع بالفعل . . ما من شك في هذا . بل انه أفضل ما رسمته . . ما عدا انها دون وعي استخدمت صورة الرجل الذي لا تطيقه .

وإذا كان هذا واضح لها . . سيكون واضح له . . فماذا ستفعل الآن؟ أتغيرها؟ وقفت بعيدة تنظر إلى اللوحة من زاوية أخرى . . فتطلع الوجه

الأسمر إليها ببسمته الساخرة وكأنه يقول : أرأيت؟

اللعنة! اللعنة! أرادت ان ترمي الفراشي، ان تغير ذلك الوجه، ان تمحو الصورة كلها وتبدأ من جديد.. لكنها كانت تعرف انها لن تستطيع.. ان تغير ما فيها يعني تفسدها تماماً.. انها صحيحة تماماً كما هي.. والفتاة.. درستها ليوني بعناية.. ابتسامة خفيفة على قسماتها، وكأنها تبدي دهشتها لما حصل.. وكانت كمن ينظر في المرآة.

خلعت مريلة العمل.. لن تستطيع فعل شيء الآن... ارتدت معطفها.. بعد دقائق كانت تنطلق بسيارتها الموريس البيضاء وكأن أحداً يلاحقها، أوقفت سيارتها في مكان منعزل.. ليس من مخلوق حي حولها على بعد أميال. لطالما لجأت إلى هذا المكان أكثر من مرة حين تحتاج إلى التفكير. ولم تشاهد أحداً يوماً. جلست على صخرة.. تتطلع إلى البعيد نحو التلال المشرفة على بحر الشمال.. حيث السماء تختلط معها في الأفق. بالنسبة لها، كان هذا أجمل مكان على وجه الأرض... تحس هنا انها في بيتها في أرضها، في موطنها كما لا تشعر في أي مكان آخر.. ولهذا كانت قادرة على التفكير هنا برويّة. أو على الأقل هذا ما كانت قادرة عليه من قبل.

حاولت ان تحل مشكلة اللوحة.. الأمر بسيط... كل ما عليها أن تفعل، هو تغيير في الوجهين قليلاً. أمر بسيط.. لكنه ليس هكذا.. فاللوحة رائعة كما هي الآن.. لها جو خاص بها.. قد يدفع الناس للنظر إلى غلاف الكتاب... ثم النظر مرة أخرى.. ثم التقاطه.. وهذا بالضبط ما يجب ان تكون غلافات الكتب. وهي تعرف هذا الواقع حتى العظام.

وقفت وكلها تصميم، تنظر إلى السيارة المنتظرة.. سوف تعود، تنهي اللوحة بأسرع وقت ممكن، فلم يبق منها سوى القسم السهل على

أي حال.. قصر من بعيد يشوبه الضباب... سماء مكفهرة.. ثم تلفها وترسلها إلى رئيسها.. ولن يراها داغ، فهو عائد إلى بلجيكا.. وضحكت عالياً.. لكن الريح التقطت ضحكتها لترسلها مدوية بين التلال. لو بقيت هنا حتى الأسبوع القادم، سترسم لوحة أخرى وتتأكد من أن يكون وجه البطل لا يشبه مطلقاً وجه داغ.

ما أن وصلت منزل وايلد، حتى كانت السماء تنهمر مطراً. فصعدت إلى غرفتها لتخلع معطفها.. لكن فسحة السلم العليا، والممر، كانا مظلمان.. في أعلى السلم سمعت صوت باب.. فوقفت جامدة، قلبها يخفق :

ـ داغ..؟

ظهر أمامها بصمت ووقف ينظر إليها :

ـ نعم؟

ـ آوه.. سمعت صوتاً.. ظننتك لا زلت في المنزل الصغير.

ـ عدت منذ فترة. وصعدت لأراك.. كنت تعملين جاهدة لا شك.

وساد جو متوتر.. وكأنه جو ترقب وانتظار.. كأنه سيقول المزيد.. ثم فهمت ليوني ما الأمر.

ـ هل دخلت غرفتي؟

ـ أجل.. سامحيني... ظننتك في الداخل نائمة وقد لا تكوني بخير.. فقرعت عدة مرات.. ثم دخلت.. ولم استطع منع نفسي من رؤية اللوحة.

لم تعد تريد سماع المزيد.. أحست بوجنتيها تكادان تحترقان. فاستدارت عنه نحو غرفتها، لكنه لحق بها :

ـ هل لي أن أراها مجدداً؟

وقفت خارج الباب وحدقت به :

ـ لا! لم انهها بعد!

ـ أعرف هذا . . لكن هناك ملاحظة حول خلفية الصورة . .

ـ لست بحاجة إلى نصيحة منك . . شكراً .

لكنها كانت تجد صعوبة في التقاط أنفاسها .

ـ أتعلمين إنك رسمت نفسك . .

ـ لا شأن لك . .

وقاطعها بنعومة :

ـ الأمر مثير للاهتمام . . . أليس كذلك؟ خاصة حين أرى وجه الرجل كذلك . . .

فتحت ليوني الباب ودخلت، لم تعد تهتم . . لا تريد ان تسمع كلمة أخرى. لكن يده أوقفت الباب. ومنعتها من اقفاله . . ثم دخل . . فصاحت به :

ـ أتسمح ان تخرج؟

ـ لمَ أنت غاضبة هكذا؟ لم استطع إلا أن الاحظ التشابه في الوجهين . . .

ـ وماذا في هذا؟ أظننت الوجه يشبهك؟ يا للسماء كم أنت مغرور بنفسك! لدي بضعة أمثلة لموديلات محددة لأبطال القصص . . وهذا مثال منها . وأنا آسفة لو ظننت انني رسمتك. لكنني أؤكد لك . .

ـ إذن لاحظت أنت هذا كذلك؟ أجل . . أفهم . . أفهم . . .

ـ أنت لا تفهم شيئاً . . لقد خمنت ما كنت ستقول . . .

ـ ولم يعجبك ما قلته؟ ربما أنت كذلك أصبت بالدهشة حين لاحظتِ ما رسمت؟ أهذا خرجت تحت المطر؟

ـ لم تكن تمطر حين خرجت. ولست مضطرة لتفسير تحركاتي لك .

ـ طبعاً لا . . ولا حاجة كذلك لأن تنزعجي من تعليقي على رسمك الرائع، صدقيني . . . انها ممتازة . . ولا أحاول مطلقاً أن انتقدك . . لكن ما كنت أود ان أبرزه لك . . وعذراً سلفاً . . .

كان لا يزال لديها شذرة كرامة متبقية . . وقبل ان يكمل قالت بسرعة تقاطعه :

ـ آوه . . استطيع رؤية ما تعني . . هناك فعلاً تشابه طفيف . . يا للصدفة! . . ماذا كنت ستقول حول خلفية اللوحة؟

أشار إلى حدود القصر، المخطط بقلم الرصاص :

ـ إنه بعيد جداً . . لو استطعت تقريبه أكثر. لتجنب وجود الأفق خلفه تماماً . . . فهذا سخيفف من الظلال خلفه . . أتفهمين ما أعني؟

ـ تماماً . . وسأضع هذا في رأسي . . ولو عذرتني الآن . . . سأكمل الرسم قليلاً، ثم أنزل لأحضر العشاء . . .

ـ لا حاجة . . لقد اهتممت بالأمر. أخرجت دجاجة من الثلاجة، ووضعتها في الفرن .

ـ آوه لكنني كنت أنوي . .

ـ ربما في الغد إذن . . لم تقولي هذا قبلاً .

ـ لكنك تعمل طوال النهار في المنزل الصغير .

ـ وأنت كذلك مشغولة برسمك . . لا؟

وهذا أمر مهم كذلك. حين تنتهي هذه اللوحة، وتستخدم كصورة غلاف . . . ماذا يحل بها؟

أجفلت دهشة للسؤال .

ـ اللوحة؟ يحتفظ بها الناشر، لماذا؟

ـ أحب أن اشتريها .

ـ لكن . . أنا . . أنت . . لماذا؟

- وما رأيك . . ؟ لأنني مغرور .

- قلت لك . . .

- أعرف . . ليس الرسم لي . . طبعاً . إنما يبدو هذا . .

- أنت غبي ! ومغرور بنفسك !

- أجل . . ربما . . لكنني لا أحصل على شبهي دائماً يرسم في لوحة . . خاصة من الذاكرة .

صاحت به :

- أترك غرفتي على الفور . . لست مضطرة لسماع افتراضاتك الغبية السخيفة !

قام بشيء غريب، رفع يداه ليمسك بوجهها :

- لماذا لا ترتاحي وتسترخي أيتها القطة المتوحشة الصغيرة . فأنت بدأت تفقدين أعصابك، ولست قوية بما يكفي بعد . . .

أبعدت يديه عنها .

- لا تلمسني !

ضاقت عيناه :

- حسن جداً . . لن ألمسك . . وسأتركك لرسمك وأفكارك . ربما في يوم ما . . وقبل أن يفوت الأوان، ستتعلمي كيف تكوني من البشر .

تركها وخرج، فتوجهت إلى النافذة لتنظر إلى الخارج أحست بالإرهاق، وكأنها كانت تركض مسافة بعيدة . . .

كانت قد توقعت، بعدما حصل بعد الظهر، ان تجد في الرسم صعوبة . . لكنها وجدت أن الفرشاة تتحرك وكأنما بلمسة ساحر . . . لا شيء يمكن أن يسير خطأ . . واللوحة بدأت تظهر بكل بساطة انها أفضل عمل قامت به . . وعلى الأرجح أفضل ما ستقوم به كذلك . لكنها كانت تحس أنها تقف على رمال متحركة، لا تدري إلى أي جهة تلجأ

طلباً للأمان .

انهت رسمها لليوم، بمزاج مشتت . . ثم دخلت غرفتها وخلعت مريلة الرسم، ثم نزلت إلى المكتبة تبحث عن كتاب تقرأه . وهناك وجدها داغ بعد قليل :

- كنت اناديك . . ألم تسمعي ؟

- لا . . لم أسمع . . هل العشاء جاهز؟

- أجل . . ولقد حضرت المائدة في المطبخ . . انه أكثر دفئاً . أرجو أن لا تمانعي .

- طبعاً لا أمانع، وسأطهو كل طعام الغد .

- وبعد العشاء سنعمل في المنزل . . لا؟

- في تفحص الانتيكات؟

- طبعاً . . إلا إذا كنت مضطرة لإنهاء لوحتك .

- لقد انهيت كل ما أريده ليوم واحد . . وسأنهي الباقي في الصباح . .

- أترسلينها بعدها إلى لندن؟

- أجل . . سأرسلها إلى لندن . . هل أساعدك؟

كان قد دخلا المطبخ حين سألته، وشاهدت المائدة المحضرة بترتيب شديد، والنار تهدر في الموقد، وسمعت المطر يضرب زجاج النافذة . . أخرج طبقين من الفرن، حيث لا بد وضعهما هناك للحفاظ على سخونتهما، ووضعهما على الطاولة :

- لا . . كل شيء جاهز . . اجلسي من فضلك .

كان الطعام مؤلفاً من الدجاج والبطاطس المسلوقة، البازيلاء والجزر، وصلصة مرق الدجاج السميكة، منظر يسيل اللعاب، وكان عليها ان تعترف بهذا . وأكمل كلامه :

- كلي طعامك قبل أن يبرد . . . بعدها يمكنك العودة إلى القراءة .

- لكنك قلت إننا سنجول نخمّن الموجودات؟

- ليس وأنت متعبة . . الرسم متعب . . أليس كذلك ؟

- عادة . . لكنني لست متعبة اليوم . . هل سار العمل على ما يرام اليوم؟

- آوه . . أجل . . . في الغد سيأتي فورسيل بابن عم له من القرية المجاورة . . وهكذا سينجزان العمل بسرعة أكبر .

- إذن سأحضر لكم الشاي في الصباح . فليس من الانصاف أن تترك عملك لأمر صغير كهذا .

جلسا يأكلان بصمت، كانت النار تستعر وتطقطق، في الخارج كان المطر ينهمر دون هوادة . . بطريقة ما، في الجو الدافىء داخل المطبخ . أحست ليوني بحزن لا مبرر له . . وكأنها ترى أمامها حياة مختلفة . عالم فيه المرح، والحنان، والضحك . . وضعت كوب الماء أمامها وابتلعت الماء منه، لكن هذا لم يساعد في إزالة الغصة من حنجرتها .

- ألم يعجبك الطعام؟

- بلى . . بالطبع .

رفرفت بعينيها، فالغرفة بدأت تتلاشى من أمام عينيها وشاهدت داغ ينظر إليها مفكر، تعابير وجهه جدية، ليست ساخرة ولا متكبرة، وكأنه أحس بمزاجها . . لكنها أرادت أن تصرخ في وجهه، دعني وشأني! . . لكنها وقفت واستدارت :

- أرجو أن تعذرني . . يجب أن . .

وسمعت كرسيه يتحرك بصوت مرتفع وهو يقف :

- ليوني . . ما الأمر؟

- لا شيء . . أريد إحضار منديل . .

أكملت استدارتها وركضت من المطبخ ثم صعوداً على السلم إلى غرفتها . . هناك، في العتمة، استندت إلى الباب . ما الذي يحدث لي؟ ماذا دهاني؟ رفعت يدها إلى فمها . . انها تعرف تماماً . . في تلك اللمحة التي واجهتها لعالم الدفء، في المطبخ، تذكرت حلماً قديماً طالما راودها لسنوات . . . ولم تكن قد تذكرته قبل الآن . . حتى هذه اللحظة، وأصابتها الذكرى بصدمة . . . في ذلك الحلم، والذي لم تكن تذكره حين تصحو، كانت توجد في غرفة دافئة . . مع رجل، يتناولان الطعام، مع احساس بالاكتفاء والأمان . . انه نوع من الاحاسيس لا يمكن للمرء أن يحس به باختياره، بل انه يحدث في لمحة الأحلام ليترك أثراً دافئاً في النفس . . وهنا . . لمجرد لحظة . . أحست به، في مطبخ منزل عائلة وايلد . . والاحساس أخافها، وأدهشها .

سمعت صوت داغ من باب الغرفة :

- هل أنت مريضة؟

- لا . . جئت أحضر منديلاً . . . قلت لك .

- لماذا الظلام إذن؟

- أعرف مكانه . . وسأنزل بعد لحظات .

دخل . . وتقدم نحوها :

- كنت تبكين .

- لا . . لم أكن أبكي .

- هل أضيء النور؟

- لا . . أرجوك اذهب .

- لن أذهب قبل أن أعرف ما بك؟

- أنت تضخم الأمور . . قلت لك انني . .

أحست بأصابعه على وجهها تتلمس ما تحت عينيها ، وسمعت

تنفسه الحاد :

ـ هل سببت لك هذه الدموع؟ قولي لي .

ـ لا . . . لكنني كنت أحلم حلماً معيناً لسنوات . . وشيء ما . . حين كنا في المطبخ ، جعلني أتذكره . . هذا كل شيء . . صدقاً .

ـ وهو حلم حزين . . صحيح؟

ـ ليس . . ربما . . . هكذا تماماً . . لست أدري . . أنا مضطربة . . أرجوك دعني . . سأنزل بعد دقائق . . أعدك .

ـ ما هو الحلم؟

هزت رأسها بهدوء :

ـ لا أريد أن أخبرك .

ـ آسف . . . لن أسألك ثانية . هل آتيك بفنجان قهوة تشربينه هنا لوحدك ؟

أهذا هو داغ؟ أهو حقاً من يتكلم؟

ـ لا . . . شكراً . . أنا . . سوف . . . . .

وصمتت . . فأخذها داغ بين ذراعيه كما يأخذ الطفلة . . . وضمها . . أحست بقوته تتدفق إليها ، فانهمرت الدموع من جديد ، دون أن تستطيع إيقافها . . . غمرتها التعاسة وبقيت تقف بين ذراعيه ، يهدهدها بالتدريج . . حين حاولت الابتعاد ، وقد أحست بذلك الاحساس الآخر ، تركها . . وبنفس الرقة .

ـ أفضل الآن؟

ـ أجل . . . شكراً لك . . اعطني دقيقة لأغسل وجهي .

اختفى كأنه الطيف . . وبقيت وحدها . . .

انها الآن تعرف عن حق ما تشعر به ، وما قاومته لفترة طويلة . . .

عرفت ان داغ هو الرجل الذي ساور أحلامها .

٧٠

يوماً ما... ستتعلمي

سارت ليوني في عتمة المنزل وكأنها الشبح . . قدماها صامتتان فوق السجاد السميك . تسمع صوت المطر يضرب زجاج النوافذ . . لقد عاد الحلم يطاردها . . وأصبح وقع المطر كالايقاع يملأ رأسها ، ضرباته تكاد تملأ البيت كله ، وهذا ما جعلها تبقى متقلبة في الفراش لا تستيطع النوم لأكثر من ساعتين قبل أن تقرر النزول إلى المكتبة لتأخذ كتاباً تقرأه وتحضر شراباً ساخناً .

في المكتبة أقفلت الباب وأضاءت النور ، ولفت روبها المنزلي حولها بشدة ، وقد أحست فجأة بالبرد . . أخذت كتاب شعر وقاموسه الخاص ، وتوجهت إلى المطبخ ، مع أن النار كانت قد تلاشت ، إلا أن المطبخ كان دافئاً . . فانحنت ترمي بضع فحمات حجرية لتحيي النار مجدداً . ثم ملأت ابريق الماء ووضعته على طباخ الغاز وأشعلته .

نظرت حولها فشاهدت ابريق القهوة الذي لم يفرغ بعد ، فوضعته على النار بدلاً من ابريق الماء . وجلست تنتظر ان يسخن وهي تفتح

كتاب الشعر، انها طريقة أكيدة تجعلها تنسى مشاكلها فمن السهل جداً أن يضيع المرء بين كلمات مرّ عليها قرون، يتمعن فيها ويقف مفكراً بأبيات شعر قديمة نصف منسية، ويراجع معانيها في المعجم.

لأول مرة منذ ساعات طويلة لهذا اليوم أحست انها استرخت.. بعد دقائق ستعود إلى الفراش.. وستنام.. في الصباح ستنهي اللوحة، وترسلها، تطعم القطط، تحضر الطعام.. ثم سينتهي يوم جديد.. أربع وعشرون ساعة أخرى.. وقريباً ستعود الجدة.. وقريباً سترحل... ربما.. عندها، مجرد ربما، ستنسى الرجل الذي يثير اضطرابها.

أحست انها على وشك ان تغفو.. حان وقت الصعود إلى الفراش. أكملت قهوتها، وضعت الكتاب من يدها.... التفتت إلى الغاز.. انه مقفل... الساعة مكانها تعمل، والمنزل كله سرعان ما يشمله النوم.. أطفأت النور.

استدارت.. لتصطدم بداغ، الذي كان قد نزل بصمت ووقف في الممر.. وقال لها:

ـ ظننتك لصاً.

الصدمة كانت كبيرة.. وطار النعاس كله من عينيها.

ـ آوه.. لم استطع النوم.. نزلت لأقرأ.

ـ آسف... هل أخفتك؟

ـ لا... دعني أمرّ.

ـ ظننتك ستقعين.

ـ أشعر بالنعاس، سأذهب إلى النوم الآن.. يجب أن استيقظ باكراً.. لدي الكثير أفعله.

ـ أجل... أعرف.

ـ أرجوك.. دعني أمرّ.

ـ أواثقة إنك على ما يرام؟

ـ طبعاً. كيف عرفت أن هناك أحداً هنا؟ لقد حرصت على أن لا أصدر صوتاً...

ـ لست أدري... شيء ما أيقظني.. حتى ولو عرفت انك أنت في المطبخ ـ لنزلت.

ـ لماذا؟ أنا كبيرة بما يكفي لأن...

ـ لكنك بعد العشاء لم تكوني على ما يرام. كنت منزعجة و...

ـ لو سمحت... أفضل أن لا أتكلم عن هذا.. لم يكن الأمر شيئاً.. مجرد مخيلة زائدة.. الآن لو سمحت....

عمت مساءً.

ـ عمتِ مساءً ليوني.

استدارت وتابعت طريقها ركضاً.

ظنت نفسها ستنام حتى ساعة متأخرة، لكنها في الصباح التالي استيقظت باكراً لتنزل إلى المطبخ وتحضر الفطار. بعد تناوله مع داغ في جو متوتر، تركته لتصعد إلى غرفتها. لم تكن قد نظرت إلى اللوحة منذ اليوم السابق فقد أدارتها نحو الزاوية، فأدارتها الآن نحو النور، تعرف ما تتوقع مع ان ترى. لكن، أحست مع ذلك بالصدمة لرؤية الوجهين المألوفين يتطلعان إليها من القماش.. ولتحس أنها يعرفان.. وحبست أنفاسها ثانية لدقة الواقعية أمامها. ما من طريقة يمكنها من تغيير هذه الواقعية.

ارتدت مريلتها وبدأت تعمل.. ما ان تبدأ العمل عادة... حتى يفقد الزمن معناه.. لكنها كانت قد أعدت ساعة المنبه لترن عند الحادية عشرة، كي تبدأ تحضير الغداء.

رنينها المزعج أعادها إلى عالم الواقع مصدومة . . ثلاثة ساعات ونصف مرت منذ بدأت . . وتكاد اللوحة تنتهي . . . . وضعت حمالة الألوان والريشة من يدها وتمطت . . . تنكمش قليلاً للألم في كتفها . . كانت قد نسيت كل شيء في غمرة سعادتها بالرسم . . حتى السبب الذي ضبطت لأجله ساعة المنبه الغداء . . . يجب أن تحضر الغداء لها وله . . خلعت المريلة ونزلت إلى المطبخ .

يوم الجمعة، استلمت رد صديقتها مونيكا من مكتب البريد في القرية، ساعة ذهبت تشتري الخبز . . عادت إلى سيارتها لتصفق الباب وراءها، وتضع الرسائل إلى جانبها . . ما ان أصبحت على مسافة من القرية حتى أوقفت سيارتها جانباً لسبب ما، لم تكن قادرة على الانتظار . . . ونظرت إلى الرسائل والتقطت رسائل داغ . . لا حاجة للتخمين من أرسلها له . . فالخط الأنيق على المغلف الليلكي قال لها ما يكفي . . وتساءلت عما تثبت له المدام برايانت . . وهل انه كتب لها أولاً . . ثم قررت ان هذا ليس من شأنها . . .

تنهدت . . اليومين الأخيرين كانا شديداً التوتر . . بالكاد كانا يتكلمان مع بعضهما . . منذ مساء الثلاثاء، وما حدث فيه، تغير شيء ما . . بل كل شيء تغير بينهما، أصبح كالغريب . . بكل بساطة، مؤدب، متحفظ، متباعد . وهذا ما كان يجب ان تفضله، لكنها لم تكن تفضله . في اليوم السابق بدأت برسم جديد، كل شيء فيه خاطىء . . وتنهدت . . ثم تناولت رسالة مونيكا وفتحتها :

«عزيزتي ليوني :

أين وجدت هذا؟ يا الله ! لا تتركيه يفلت من يدك . . لأجل السماء . . ولو فعلت . . هل لي أن آخذه منك؟ أرجوك؟ مع رسالتي تحليل لخط يده، مع ان رسالتك كانت متحفظة . . دون تفاصيل . من

غير المعدل ترك صديقة عمرك تتخبط في التخمين هكذا . . اتصلي بي حال عودتك إلى لندن . . تخبريني كل شيء!»

وطالت الرسالة إلى صفحة أخرى تتناول بعض الشائعات تتعلق بأصدقاء وصديقات مشتركين . بعدها أخذت ورقة التحليل . . لكنها لم تكن سوى تأكيد لما كانت تحس به، وتعرفه من قلبها، حول داغ، لكنها أحست بالغرابة لرؤيتها على الورق . . وكأنها تقرأ في سرّ شخص آخر :

«قوة شخصية كبيرة تظهر في ضغط القلم على الورقة . . . مع عدائيه . . ثقة بالنفس . . شخص يعرف ما يريد . . يصمم على الحصول عليه . . نادراً ما يفشل في هذا . . شغوف . . عميق الاخلاص . . . » .

توقفت عن القراءة، ونظرت خارج النافذة دون أن ترى شيئاً . . تتذكر كيف أنقذ داغ العصفور من المدخنة . وكيف كان يطعم القطط المتوحشة . وعادت تقرأ، أنفاسها عالقة في حلقها، وهي تتذكر لمساته الشغوفة لها بعد مهاجمة اللصين لها .

أدارت السيارة لتكمل الطريق إلى المنزل . . . بعد ظهر ذلك اليوم، كان رمادياً منذراً بالمطر . . وعلمت انها لن تتمكن من الرسم اليوم . فوضعت أدواتها من يدها ووقفت عند النافذة . . لديها خيار واسع من غلافات الكتب . . ولائحة طويلة بها في حقيبتها . . لكن دماغها كان خالياً من أي تفكير . فتحت حقيبتها، لتجد اللائحة كان فيها عناوين كتب، إلى جانبها ملخص عن محتوياتها . ثم توقفت عند عنوان . . ورفرفت عينيها، قرأت مرة أخرى : «القطة المتوحشة» قصة رومانسية تاريخية جرت في القرن السادس عشر، في اسكتلنده . . .

جمدت . . لا أصدق هذا . . كيف يمكنها ان تنسى هذه . . لا بد انها كانت مستغرقة في رسم الغلاف السابق حتى انها لم تنظر مجدداً في

اللائحة، ولا دققت في المحتويات .

هذه هي إذن . . . ! نظرت من النافذة إلى الشمس المبللة الشاحبة، من فوق الأشجار، لتشاهد في عيني تفكيرها الصورة المكتملة . . لكن يجب أولاً، ان تتصل بلندن لتتأكد . . انها الآن لوحدها في المنزل . . داغ عاد إلى المنزل الصغير بعد ان تناول الغداء معها واستلم رسائله . . . وكل ما حولها صامت .

نصف دقيقة بعد دوران قرص الهاتف بالرقم المطلوب حتى سمعت صوت لوسي، وقالت لها باختصار ما تريد معرفته . . ولم تترك لوسي، مساعدة المدير، ليوني تنتظر كثيراً .

ـ ها هي المعلومات ليوني . . أتريدين أن أقرأ لك بعض تفاصيل الكتاب؟ أتواجهين مشكلة؟

ـ لا . . . بل أردت التأكد من شيء .

ـ حسناً . .

وانطلقت لوسي تقرأ لها بعض تفاصيل قصة «القطة المتوحشة» وليوني تصغي، إحساس إثارة صغير ينمو داخلها، وهي تسمع الكلمات تؤكد لها الفكرة، التي كانت فضفاضة من قبل، وأخذت تضيق وتضيق لتصبح مناسبة جداً .

ـ شكراً لوسي . أنت ملاك . هذا كل ما أريد معرفته . . . لدينا عائلة من القطط المتوحشة هنا أقوم بإطعامها . . وكل شيء سيناسب تماماً . . لقد أرسلت لكم لوحة بالأمس، أظنها ستعجبكم .

عظيم ! ستصلنا يوم الاثنين إذن . . ابقي على اتصال معنا .

ـ سأفعل . . باي .

الآن تعرف كيف ستمضي بقية بعد الظهر . وبدأت تجمع كل ما ستحتاج إليه، أوراق رسم، عدة أقلام رصاص، قلم أسود الحبر،

كاميرا، معطف، حذاء عالي الجانبين، هذا كله من غرفتها . . أما الغرض الأخير فهو من المطبخ . . لحم مبرد، بعض السمك وجدته في الثلاجة، ومحتويات علبة سردين .

حين وضعت الجميع في المكان المعتاد لإطعام القطط جلست بين الشجيرات الصغيرة تنتظر، وهي تنتظر أخذت ترسم خلفية المكان الذي تنوي استخدامه من الذاكرة . . . فتاة تقف قرب نهر، لها شعر طويل متطاير ترتدي عباءة فضفاضة . . تراقبها قطة متوحشة بعينين باردتين من زاوية محددة في صدر الصورة . . جبال ضبابية من بعد، رسم للنهر وما يحيط به من صخور وبدأت اللوحة تأخذ شكلها بينما كان القلم يخط خطوطه الباهتة فوق الورق الأبيض المقوى . . وعلمت ان هذه اللوحة ستكون من اللوحات النادرة لها . . وما من مشكلة في وجه البطل هذه المرة . . فليس فيها سوى وجهين : وجه الفتاة ووجه القطة المتوحشة .

القطة ! صوت صغير أرسل رجفة ترقب في ظهرها، فحبست أنفاسها، وأدارت الصفحة بسرعة . . . وانتظرت . . . الكاميرا جاهزة كذلك، وعلى الأرض أمامها . . . القلم في مكانه فوق الورق . . وظهرت أول قطة برية . كانت القطة النشيطة البنية المخططة التي شاهدتها أمام المنزل الصغير . . اشتمت الهواء من حولها، تدير رأسها، تفتش عن أي خطر قبل التقدم نحو السردين وتبدأ الأكل . . وتحرك القلم في يدها بسرعة، واستغرقت في العمل، غير منتظرة لظهور بقية العائلة . . . كان هناك أناقة محددة حول مظهر الوشق يروق للفنان في داخلها، رشاقة حركاته وهو يأكل . ووصل الآخران، لكن ليوني كانت قد حصلت على ما تريد، وركزت على الأول فقط .

مدت يدها لتلتقط الكاميرا، عندها لاحظت ان القطيطة تعرج . .

قائمتها اليسرى الأمامية بدت مكسورة. فاجتاحتها موجة شفقة. ولم تفكر بما تفعل.. بل فعلت... تقدمت إلى الأمام من مخبئها، والتقطت القطيطة لتساعدها وتتفحصها. لكن... كان يجب ان تكون أذكى من هذا.. هبطت على المكان كله لحظة جمود.. جمود استعداداً إما للهرب أو الانقضاض.. ثم انفجرت الدنيا من حولها، بغضب يتناثر، حين انقض الأب عليها كله عضلات مشدودة... وفرو.. ومخالب حادة.

صرخت ليوني وقد شاهدت الخدوش الحمراء الدامية على يدها. واستدارت لتهرب.. تتخبط كالعمياء ثم انتهى كل شيء.. واختفت المخلوقات الثلاثة في الغابة.. نظرت إلى معصمها ويدها تشاهد الخدوش العميقة، فأحست بالسقام.. وقاومت الرغبة في الإغماء، تعرف ان عليها العودة بسرعة إلى المنزل لتنظيف الخدوش.

ـ ليوني... ماذا...

فجأة وصل داغ.. وشاهدت الدم على رسغها... وشاهدت كذلك الذهول الكامل على وجهه.. ثم:

ـ آوه.. لا.. هل حاولت لمس أحدها؟

ـ أنا.. القطيطة كانت تعرج.

وأخذت ترتجف. فأمسك يديها ليتفحصها.

ـ أيتها الحمقاء! كان يمكن أن يضرب وجهك.. أيتها الحمقاء الغبية العمياء....

ـ دعني وشأني..! أعرف هذا.. الا تعتقد؟ أتظنني بحاجة إليك لتقول لي شيئاً؟ انها غلطتي.. حسناً.. ها قد اعترفت لك.

ـ سنعود إلى المنزل الآن لننظف هذه الجروح... أتظني ان ليس لدي عمل يكفيني لتضيفي دور المرض إليها؟ ماذا بعد، أنا...

شدت نفسها منه بقوة.

ـ إذن لا تفعل هذا. استطيع تدبير أموري بنفسي. شكراً لك.. سأعيد رسوماتي والكاميرا إلى المنزل...

ـ اللعنة على هذه.. بإمكانها الانتظار.. لا تستطيعي....

استدارت إليه

ـ قلت سآخذها.

انحنت تلتقط الرسومات، وكادت تقع، وفي لحظة حملها داغ ليعيدها إلى المنزل.

ـ ستجلسي هادئة، بعد أن أنظف الخدوش، سآخذك إلى الطبيب ليعطيك حقنة مضادة للكزاز....

ـ آوه.. لا.. سيطلب معرفة السبب، ألا ترى هذا؟ سيطرحون الأسئلة.. ولا استطيع أن أقول لهم.. ثم...

ـ ستكذبين إذن... أليس كذلك؟ لكنك ستذهبين حتى ولو اضطررت لضربك وإفقادك الوعي وحملك إلى هناك...

ـ لن تجرؤ..!

ـ ألن أجرؤ؟ سترين...

ـ سأكون بخير.. هذا المطهر يحرقني... آخ! وهذا دائماً دليل جيد...

أجفلت من الألم ثانية، ولم يكن في لمسته شيء من اللطف الآن. كانا في المطبخ، وعلى الطاولة قطعة من الماء الممزوج بالمطهر أخذت تزداد احمراراً بسرعة، بينما كان داغ يبلل القطن فيها ويمسح الجروح، كل خدش على حدة. وأجاب:

ـ ربما.. لكننا سنذهب.

ـ لكنني..

ضغط القطن بقوة، ثم صب المطهر فوق الخدوش دفعة واحدة عضت على شفتها تتآوه، فتوقف ثم قال :

ـ لا أصدق! . . لا . . لست خائفة من الحقنة ؟

انتزعت يدها منه :

ـ دعني وشأني! هذا يكفي ! الأمر ليس هكذا . . أنا فقط . . .

ـ آوه . . بلى . . انه هكذا . . أرى الخوف في عينيك . . أنت خائفة !

ـ لا أستطيع منع نفسي من الخوف .

فضحك . . لقد ضحك! وقفت بعصبية .

ـ آوه . . ! أنت . . . . أنت . . . كيف تجرؤ على الضحك مني !

كان يهتز بالضحك الصامت :

ـ عفوك . . لكنني لم أكن لأظن شيئاً قد يخيفك .

ـ حسناً . . تعرف الآن ما يخيفني . . هيا اضحك . . افرغ رأسك الغبي من الضحك كله . . فلن اهتم! لكنني لست ذاهبة . .

توقف عن الضحك :

ـ آوه . . بلى . . . ستذهبين . . وعلى الفور . . هيا . . .

وقف ينتظرها . . فحدقت به لحظات، ثم وقفت تستدير عنه تتجه إلى الطباخ .

ـ سأصنع فنجان قهوة، أترغب في . . . .

ـ قلت الآن . . القهوة فيما بعد . . . . .

وأصبح خلفها . . فجأة حدث ما يحدث دائماً . . العدوانية الشرسة في الجو . . وتزايد ضغط التوتر . . وكان ينتظر . . . وكأنه النمر المستعد للإنقضاض .

قالت متحدية :

ـ اجبرني . . . المسني . . . مرة واحدة . . . وستندم .

استدار تنظر إليه، متجاهلة الألم في يديها . . . تحس بضبطه لقوته، لكنها لم تعد خائفة . . . ونظر إليها، وأنزل بصره إلى جسدها . . ثم إلى قدميها، وكأنه يقيّمها . . . وابتسم ببطء شديد قال :

ـ سأطلب منك مرة أخرى فقط . . هل ستأتين معي بإرادتك أم لا ؟

لا !

ـ حسن جداً .

تحرك بسرعة، بسرعة فائقة، حتى انها لم تستطع تخمين ما ينوي . التقطها بين ذراعيه وسار بها نحو الباب، ووجدت نفسها مقبوضة في قبضة من فولاذ، حتى ان كل ركلها ومقاومتها كنت سدى . . . .

فأخذت تصيح :

ـ أيها الوحش . . . انزلني . . . آوه! آوه!

ـ سأنزلك حين نصل . . وستقولين لي السبب بالطبع .

دفع الباب بقدمه وأخرجها وهي تصيح !

ـ لن أقول لك شيئاً . . أبداً . .

ـ إذن سأسأل، وسأقول للجميع لماذا أنت ذاهبة إلى الطبيب .

ادخلي إلى السيارة . . وأرجوك لا فائدة من مقاومتي . . وتعرفين هذا . . فأنا دائماً أكسب . . تذكري هذا .

دفعها إلى السيارة ثم استدار ليجلس وراء المقود . فجلست تصرّ على أسنانها غاضبة!

ـ لا أظن انني كرهت في حياتي أحداً بقدر ما أكرهك . .

مد يده إلى جهاز إدارة المحرك . . ورد عليها بنعومة!

ـ ليس هناك أشياء كثيرة تعجبك أصلاً . . ربما الحيوانات فقط . . أتظني أن كلماتك أزعجتني؟ يوماً ما . . يوماً ما . . ستتعلمي . .

وأدار المحرك تاركاً كلامه دون إكمال . . يرن في أذنيها كأجراس الإنذار .

٨٠

الحب الأول

فجأة تغير كل شيء . . . مساء الجمعة اتصلت الجدة لتقول انها عائدة في اليوم التالي . أول احساس عامر بالارتياح ، تبعه فكرة : كيف ستفسر وجود الخدوش ؟

أمامها بضعة كتب لتقرأها . . والنار تبعث الدفء في الغرفة ، الراديو يصدح بالموسيقى الناعمة ، بالتدريج كانت تحس الارتخاء . بضعة أيام أخرى ، ولأجل التهذيب فقط ، ثم تنجو ، وتعود إلى لندن .

أبعدت الكتاب عنها . . لقد كررت قراءة نفس الفقرة ثلاثة مرات دون أن تفهم كلمة واحدة . . . قريباً سيحل وقت العشاء . . ثم النوم . . تذكرت رسوماتها ، والكامير ، لا تزال مرمية حيث تركتها بالأمس ! دون توقف للتفكير ، ركضت إلى الخارج نحو الممر المغطي بالشجيرات ، متمنية فقط لو انها أحضرت مشعلاً يدوياً معها . . لكنها تعرف تماماً أين تركت أشياءها . . أو على الأقل تعتقد انه تعرف .

وقفت هناك تترك عيناها تعتادان على العتمة ، تكسرها فقط نور

القمر الخفيف ، وأخذت تفتش حولها . . . الشجيرة التي اختبأت خلفها هناك . . ومكان تركها للرسومات والكاميرا . . . هنا المشكلة ، انها لم تجد شيئاً ، للحظت ساورتها فكرة سخيفة بأن القطط البرية تسللت وسرقتها . . فكادت تضحك . . . ثم شهقت . . . الأمر ليس مزاحاً . . الكاميرا من نوع البولورويد الفوري الملونة . . مع جهاز وميض . . لكن رسومات القطط كانت أكثر أهمية لها ، فهي كل ما تملك عنها . . انحنت تتحسس الأرض ، في أمل أخير ، مع كل وعيها بأن يديها لا زالتا مضمدتين . .

ـ الآن تأكدت ان كل الانكليز مجانين حقاً !

صوت داغ كاد يجعلها تقفز كالمجنونة ، فالتفتت لترى أين هو . . وتحرك نحوها قائلاً :

ـ هل جئت طلباً للمزيد؟

ـ جئت لأجد . . .

ـ الكاميرا؟ وأوراق الرسم؟ انه عندي ، وكذلك الأقلام . . .

استقامت واقفة :

ـ لماذا لم تقل لي إذن؟

ـ لديّ سبب ، ولأنني أريد ان أريك شيئاً . . عودي معي إلى المنزل . . . تعالي ، فالبرد يشتد ، وأنت غبية لأنك جئت دون معطف . . . وستصابين بالتهاب رئوي . . . . صحيح انني لست بطبيب . . . .

ـ جدتي قادمة في الغد . . وهكذا ستنتهي متاعبك . لأنني عائدة إلى لندن في أسرع وقت ممكن .

ـ آه . . . صحيح؟ عظيم .

استدار ليسير مبتعداً . ولم تكن واثقة ما إذا كان يعني بالعظيم انها

ذاهبة أم لعودة الجدة. وكان لها فكرة خبيثة انه يعني الاثنين معاً.

في المطبخ أحضر الكاميرا، الرسومات، والأقلام، ووضعها جميعاً على الطاولة، ثم وضع يده في جيبه:

ـ أتريدين معرفة أين كنت هذا المساء؟

ـ لا.

ـ كنت أعطي قططك المتوحشة طعامها.. الثلاثة منها! ستصبح سمينة ومفسودة... أتعرفين لماذا؟

ببطء أخرج من جيبه صورة واعطاها لها.. وشاهدت ما فيها.. القط البني المخطط، الذي هاجمها، كان ينظر إلى الكاميرا، والتقطته في أفضل وضع مناسب لغلاف الكتاب، مظهر جانبي له، رأسه مستدير إلى الكاميرا، عيناه تلمعان، جامدتان في لحظة من الزمان، وإلى الأبد.

شهقت هامسة:

ـ انها.. رائعة! شكراً لك كثيراً.

هز كتفيه:

ـ لسوء الحظ لم ينتظر لألتقط له صورة أخرى... مع انني طلبت منه هذا بكل أدب. اسرع بالذهاب حتى قبل ان أخرج الصورة من الكاميرا... حسناً.. هل يسعدك هذا؟

ـ أجل... كثيراً. وأشك ان استطيع التقاط أفضل منها.

ـ وكانت القطيطة هناك أيضاً.. ستشفى، فهي حيوانات قوية... سترين، بعد أسبوع أو اثنين.

أسبوع أو اثنين لن أكون هنا... وتساءلت لماذا جاء هذا الإدراك معه بشعور وحشة..

ـ أنا سعيدة لهذا.. طبعاً غباوة مني ان حاولت التقاطها. لكنني لم أكن أفكر.

ـ أنت متهورة.. ويتوقع المرء مثل هذا من امرأة.

حسن جداً.. هكذا إذن.. لقد حان وقت الانطلاق... بعد لحظات سنشتبك بخصام كامل.. فلو استمر بالوعظ هكذا حول اخطاء النساء...

ـ أتسمح لي، أرغب في أخذ هذه إلى غرفتي.. في الصباح أود البدء بالرسم.

ـ ويدك هكذا؟ لن تستطيعي الرسم؟

ابتسمت بحلاوة:

ـ أؤكد لك.. لا شيء يوقفني. وشكر ثانية للازعاج عِمتَ مساءً.

ـ عِمتِ مساءً ليوني.. نامي جيداً.

ـ سأحاول.

في الغد أمامها مهمتان رئيسيتان.. لوحتها.. وبضعة أسئلة تطرحها على الجدة...

ـ وهل لوحتك الثانية جيدة كذلك عزيزتي؟ كم أنا سعيدة لك.

كانت الجدة تحاول بوضوح تجنب الموضوع الذي طرحته ليوني، وهذا رأيها دائماً حين تحاول التخلص من شيء ما.. لكنها لم تكن تواجه التصميم الذي كانت عليه ليوني الآن، من قبل. فهي مصممة ان تعرف كل ما يجب ان تعرف عن داغون كابريل. كي تتمكن من مغادرة منزل العائلة مرتاحة الضمير، ان لا تستيقظ الجدة يوماً لتجد كل ما في منزلها قد ذهب.

ـ أجل جدتي وأنا مسرورة لرضاك. وبكل تأكيد سأريك اللوحة في الوقت المناسب.. والآن أريد معرفة من هو بالضبط.

تنهدت الجدة، ونظرت إلى النار ساهمة.

ـ قلت لك هذا.. انه حفيد صديقة قديمة لي.

- وماذا؟

- ماذا . . . ماذا ؟

نظرة البراءة في عينيها . . براءة . . . لكن براءة زائدة . . . أيمكن أن تكون محرجة؟

- من هي هذه الصديقة القديمة؟ هل أعرفها ؟

تنهدت الجدة وقالت بنعومة :

- هل تعرفينه عزيزتي . . انه هو . .

- آوه؟

ابتسمت العجوز :

- آه عزيزتي . . لا فائدة . . الأفضل أن تقربي كرسيك إلى النار . . لكن قبلاً، أريدك ان تصعدي إلى العلية وتحضري لي صندوقاً صغيراً من أسفل الصندوق الكبير الذي إلى جانب النافذة . . تحت كومة الثياب . أواثقة انك قادرة على فعل هذا بيديك المصابتين؟ أتعلمين . . لقد فعلت هذا بنفسي أول أيام زواجي ، لكنني لم أجرؤ على قول هذا لأحد . . وإلا لظنوني مجنونة . . ومن يعلم . . قد تكون هذه القطط من نسل تلك التي خربشتني . . والتي كنت أعتني بها . . . .

اسكتتها ليوني بضمّه قوية :

- أعرف حبيبتي . . وأنا مسرورة لمعرفتي هذه . . سأذهب لأحضر العلبة . . فقد يعود داغ عما قليل .

قاومت ليوني إغراء فتح العلبة وهي تحملها إلى جدتها، وتضعها أمامها على طاولة صغيرة . . وتنهدت العجوز .

- آه . . . أجل . . مضت سنوات منذ أن . . .

أجفلت ليوني لرؤية الدموع في عيني الجدة . فكادت تشاركها الدموع .

- آوه . . جدتي . . لا يجب ان تفعلي هذا . . إذا كان الأمر سيزعجك . . . .

- انها دموع الحنين . . لقد أصبحت عجوزاً سخيفة . . وإذا كنت أتمتع ببعض البكاء بين حين وآخر . فلا أرى سبباً لأن يمنعني أحد . . هاك!

وفتحت العلبة لتفتش بأصابعها المعروقة المرتجفة بين كومة أوراق ثم تخرج صورة أعطتها لها .

- انظري إليها عزيزتي . . وقولي لي إذا لفت نظرك شيء فيها .

في مواجهتها شاهدت شاباً يحدق بها . . أسمر الوجه حاد التقاسيم، عيناه لم تخفِ وميضهما السنين . . في وضعية رأسه العجرفة، لا يخفف منها سوى نصف ابتسامة على فمه . . وحبست ليوني أنفاسها . . وقالت هامسة :

- يمكن . . . ان تكون لداغ!

هزت الجدة رأسها

- آوه . . أجل . . . لقد لاحظت هذا كذلك . . يمكن ان يكون لكنه ليس كذلك . فهذا جد داغ . . وحين كنت في السابعة عشر من عمري . . كنت أحبه بجنون . . ويبادلني الحب . حدث هذا حين كان جد جدك . . أي أبي . . . . السكرتير الأول لسفارة بريطانيا في بوخارست . كان اسمه كارل . . كارل كابريل . . . وكان موظفاً صغيراً . . كنا نلتقي حين نستطيع ، ونتحدث عن الزواج، إلى ان أكتشفت أمي الأمر . . . ثم بدا الأمر وكأنه نهاية العالم . كانت الأمور مختلفة جداً في تلك الأيام عزيزتي . . لم يكن عصر التساهل . . ولم نفعل أنا وكارل أكثر من تماسك الأيدي، وتبادل العناق السريع . . لكن والدتي ظنته الذئب المغوي . . . كما ظنه أبي فيما بعد . . وطرد من

السفارة وأرسلوني إلى مدرسة داخلية في سويسرا . لكننا تمكنا من تبادل الرسائل . . . لكن . . في يوم . . توقفت رسائله فجأة، وظننت به الأسوأ ومرت بي أيام سيئة، كنت في التاسعة عشرة . . . بالنسبة لي اعتبرت ان حياتي انتهت، حتى انني فكرت أن أذهب إلى الدير! لكنني فيما بعد قُدمت إلى شاب اسكتلندي وسيم . . وبطريقة ما تلاشت أفكار الرهبنة من رأسي . وتزوجنا بعد وقت قصير . . . وأحببته . . لكنني لم أنسى مطلقاً حبي الأول . . لا يستطيع المرء نسيانه، صحيح ؟

هزت ليوني رأسها :

ـ لست أدري . . . لم أحب من قبل .

ـ لكن هذا ليس نهاية القصة . . . أصبحت أرملة لسنتين، وكان هذا قبل مولدك عزتزتي بخمس وعشرين سنة، سافرت إلى بروكسيل، في بلجيكا مع أصدقاء . . . وفي ليلة ذهبنا إلى مطعم شهير . . وحدث ما نقلني تماماً إلى الماضي . . . لقد كان هناك . . . أو على الأقل، بدا لي هذا . أحسست بالخوف من أن أكون قد جننت . . نظرت إلى الساقي الأسمر الشاب الذي كان يخدمنا . . . وكاد يغمى عليّ . كنت اتطلع إلى عيني كارل . . . وكان يحدق بي وكأنه يعرفني . . وكان هذا هو الأمر العجيب . لكن بالطبع لم يكن هو كارل، فالرجل لم يكن يزيد سنه على الأربعين، بينما كان كارل في أوائل الستين . فسألته عن اسم عائلته، دون أن أهتم بأصدقائي، فأكد لي انه كابريل . . وسألته عن اسم أبيه الأول . . بالطبع كان كارل . . . انه ابن حبي الأول . . . .

ـ آوه جدتي . . . أرجوك تابعي .

ابتسمت الجدة :

ـ وكانت هذه بداية صداقة استمرت حتى قتل نيمن في حادث سيارة منذ سنوات . . وكان قد أخبرني عن حياته في رومانيا مع أمه وأبيه . . .

ـ لكن لماذا توقف . . .

ـ عن الكتابة لي؟ هذا سؤال حيرني طويلاً لكنني عرفت من نيمن ان كارل، قيل له انني تزوجت في سويسرا . . . .

من قال له هذه الكذبة الدنيئة؟ وكيف ستعرف بعد كل هذه السنوات؟ كل ما أظنه انهما أبواي .

همست ليوتي :

ـ آه . . كم ان هذا عمل قاسي!

تنهدت الجدة :

ـ الأمور مختلفة الآن . . والحمد لله .

ـ وداغ هو ابنه؟

ـ أجل، كان ولداً في العاشرة من عمره حين عرفته . . . كانوا يعيشون في بروكسيل في شقة قذرة، بينما نيمن يعمل طوال ساعات كساقي، يحاول توفير المال لبدء عمل خاص به في الانتيكات . . . . وأخيراً نجح . . بدأ في مزاد علني، وانطلق من هناك، والدة داغ ماتت حين كان داغ في الخامسة عشرة وهكذا أخذ يعمل كذلك . . . بينما كارل قتل في الحرب العالمية الأولى حين كان في الخامسة والعشرين .

ـ إذن تعرفين داغ طوال عمره تقريباً؟

ـ أجل . . . تقريباً . . . وهو عزيز على قلبي مثلك تماماً، أتذكري انني كنت أسافر كل سنة؟ كنت أزور عائلتي الثانية . وهذه هي القصة التي لك كل الحق في معرفتها . . وتفهمين الآن لماذا دعوته حين احتجت إلى من يساعدني .

كانت ليوني على وشك الرد، حين دخل داغ . . وقف عند الباب لحظات .

ـ آسف . . هل قاطعتكما بشيء؟

كان ينظر إلى العلبة، والصورة إلى جانبها، ولاحظت ليوني اسوداد عينيه، وتلك النوعية القاسية فيه، وفهمت سبب العداء والكراهية . . عرفت أشياء كثيرة . . وفجأة! توقفت تقول :

ـ أرجو عذرك جدتي . . لن أتأخر .

وهي تبتعد نحو السلم . . سمعته يقول بنعومة :

ـ عزيزتي . . . هل اخبرتها؟

لم تعد تريد سماع المزيد، فركضت إلى غرفتها وكأن أحداً يلاحقها، وأقفلت الباب لتتجه رأساً إلى النافذة . لقد قال لها : عزيزتي! وأخذت الكلمة تتردد كالصدى في الغرفة . . عزيزتي . . . . عزيزتي! هناك رابط بينه وبين جدتها . . رابط حب عبر السنين . . ليس لها فيه أي دور . أحست بالغثيان فوضعت يدها على فمها . . . عالمها كله انقلب في وجهها رأساً على عقب . . . كأنها هي . . . وليس هو . . الدخيل .

أخذت نفساً عميقاً . . لوحتها التي بدأتها حديثاً هذا الصباح فوق الحمالة إلى جانبها . . . صورة القط المتوحش مثبتة في زاويتها، والرسمات على الطاولة . . . هذا هو المهم الآن . . . عملها . فيه تحس بالأمان . فهي تعرف تماماً ما تفعل، وتعرف انها جيدة بما تفعل .

وقريباً . . . آوه . . قريباً جداً . . ستعود إلى لندن، إلى عالمها الخاص الصغير الذي يمثل لها الأمان الحقيقي .

ربما يوم الاثنين سيكون مناسباً لرحيلها . . ستتوقف في مكان ما لتمضي ليلتها، ثم تكون في لندن صباح الثلاثاء . حتى يمكنها ان تستمر في القيادة حتى تصل في يوم واحد . . فالقيادة على الطرق الرئيسية لا تتعبها . . غداً قد تتمكن من نزع الرباطات عن يديها . . داغ سيطعم القطط، خاصة إذا طلبت الجدة منه هذا . وقد تعود إلى هنا قريباً . . بعد أن يكون قد رحل .

ـ ليوني؟ هل استطيع الدخول ؟

اختبرت إحساساً غريباً لسماع صوته، وللحظات ظنت نفسها تتخيل سماع صوته، لكن دقة الباب التي تلت كانت حقيقية . . . فقالت دون أن تلتفت :

ـ لا . . . أنا مشغولة . . اذهب من هنا .

لكنها سمعت الباب ينفتح، فاستدارت حانقة :

ـ قلت لك . . . .

ـ أعرف . . سمعتك . جدتك أرسلتني . . ظنت أنك . . . رفعت رأسها زهواً :

ـ أنا بخير . . بخير تماماً!

ـ وما أدراك ما كنت سأقول؟

وتقدم نحوها، فحدقت به :

ـ استطيع التخمين . جدتي تتساءل عما إذا كنت بخير . . . قل لها انني بخير . وسأبدأ الرسم الآن . . .

ـ لا . . فهي تريدك النزول إلى تحت . . . .

ـ في وقت أنت معها؟

شاهدت وجهه يتغير، عيناه تعتمان، عضلة أخذت تنقبض وتنبسط في خده . . وتمنت لو انها لم تقل ما قالته . فسارعت تقول، لا تريده أن يرد .

ـ سأخرج في نزهة . . قل لها انني لن أتأخر .

ـ لكن السماء بدأت تُظلم . . .

ـ أرى هذا . . وأنا كبيرة بما يكفي لأستطيع قيادة سيارتي في الظلام .

خرجت من الغرفة، نزلت السلم بسرعة، ثم إلى الخارج، باتجاه الكاراج . لم تكن ترتدي معطفها والمفاتيح في السيارة . ولم يكن لديها

فكرة كذلك إلى أين ستذهب. . لأنها لم تعد تهتم كل ما تريده هو الابتعاد عن منزل عائلتها .

قادت سيارتها مسافات طويلة دون أن تدري إلى أي إتجاه تسير، كل ما كانت تعيه انها تتجه صعوداً طوال الوقت، وانها الآن وصلت إلى مقلع صخور مهجور، إلى جانب طريق قديم خرب. . وأن المكان هادىء. جلست في سيارتها تنظر إلى حدود التلال حولها الممتدة أمام سماء كئيبة رمادية. . ولأول مرة منذ أيام بدأت أعصابها تسترخي. . وحاولت تحليل مشاعرها. . انها الغيرة لا شك. بكل بساطة ووضوح. . فالجدة كانت دائماً قريبة منها. . . فجأة، دون سابق إنذار، وجدت لها عائلة أخرى مخبثة. . لكن. . لو لم تكن هذه العائلة ممثلة بداغ. . لو كان شخصاً آخر. . أكانت تمانع؟ ما من مجال للرد على هذا السؤال. وأدارت جهاز الراديو لتملأ الموسيقى السيارة، تسد الطريق على أي فكرة قد تخطر ببالها. . . أسندت رأسها إلى المقعد، تريد نفسها أن لا تسمع سوى الموسيقى، التي لم تكن تميزها كثيراً، لكن كان لها نوعية خاصة .

فتحت عينيها لتطفىء الراديو، وتبدأ التفكير بالعودة، وتطلعت إلى الخارج لتجد جداراً رمادياً يحيط بها يسد عليها كل رؤية. . فرفرفت عينيها، وأعادت النظر. . ثم تنفست بعمق لتهدئة الذعر الذي بدأ ينمو في داخلها. . فتحت باب السيارة، على الفور دخل الضباب الكثيف ليملأ الداخل، يحيطها بكتلة مبتلة كانت تسعى لتحتل كل ركن من داخل السيارة. وأقفل الباب. . لقد حصل هذا بسرعة ولم تلاحظ دلائله وهي تتجه صعوداً. . . كان يجب أن تشم رائحة الرطوبة، أن ترى الضباب ينتشر فوق قمة الجبل. لكنها كانت مستغرقة في التفكير بمشاكلها، ولم تنتبه لما يعرفه أي ساكن في الجبال بالبديهة .

يا الله! . . . الآن ليس لديها خيار آخر. . إلى أن يرتفع الضباب. . . ربما الأمر سيىء هنا في هذه الوهدة من الجبل. . . ربما ليس الأمر بهذا السوء على الطريق الرئيسي، لكنها كانت تعرف وهي تقف خارج السيارة انها تتمسك بأمل ضعيف. . فلا طريق تبدو أمامها سوى التي تحت قدميها الآن. ولو تحركت، فقد لا تتمكن من إيجاد سيارتها ثانية. على الأقل السيارة الآن تمثل لها نوعاً من الملجأ. . الدفء. . وستشغل جهاز التدفئة. بدأت تعود إلى السيارة. . . وسمعت. . . آوه لا. . ليس ثانية! لا بد انها هذه المرة خدعة من خيالها .

ـ ليوني. . . ! إبقي حيث أنت! لا تتحركي!

لا يمكن ان يكون هذا داغ. . ثم شاهدت الطيف الأسود يخرج من بين الكتلة الرمادية الكثيفة. . وكل ما تستطيع فعله ان تقف وتراقب. . . تحول الطيف إلى رجل. . واقترب. . ثم تكلم ثانية :

ـ لطالما فكرت انك مجنونة. . ولقد تأكدت الآن. . أتدركين إننا ضائعان تماماً؟

لم يبدُ على صوته الغضب. . وقد لا يكون الأمر مخيفاً لو انه أظهر غضبه. . كان يبدو قلقاً مثلما تحس ليوني تماماً. وقف أمامها، فرفعت نظرها إليه متسعة العينين مشوشة التفكير!

ـ كيف. . . كيف وصلت هنا؟

ـ أيتها الحمقاء. . لحقت بك. كنت انتظر عودتك على الطريق لكن الوقت فات الآن. ادخلي إلى سيارتك .

أمسك ذراعها ودفعها بخشونة إلى السيارة. ثم دخل بدوره وأقفل الباب واستدار ليواجهها .

ـ أنت مثيرة للمتاعب أكثر من عشر قطط متوحشة. أنت غبية

بالكامل . . . ولا تتحلين بروح المسؤولية !

أدارت وجهها عنه لتنظر إلى خارج النافذة . . فصاح !

ـ ألا تسمعيني؟ هل أصبت بالصمم أيضاً؟ أم لا تستطيعي قول شيء لأول مرة في حياتك؟

ردت بصوت لا يتجاوز الهمس :

ـ إذهب عني .

ـ هه! إلى أين؟ لست غبياً مثلك لأرمي بنفسي داخل ضباب كهذا . . .

ـ انه مجرد .

ـ ضباب خفيف .

ـ الضباب ضباب، خفيف أم لا . أتظنين انني آبه لدقة معاني مثل هذه الكلمات . . . .

ـ إذن لماذا أزعجت نفسك ولحقت بي في الضباب؟

ـ لأن جدتك طلبت مني هذا .

ـ آوه . . لا!

ـ أوه . . بلى . . نزلت لأقول لها انك قررت الخروج بنزهة فقلقت . . . وطلبت أن أرى ان لا يصيبك مكروه .

ـ أنا أسفة . . لم أكن أقصد . . . أردت فقط الخروج والاختلاء بنفسي قليلاً . .

ـ وهذا ما حصلت عليه . . وربما لوقت أطول مما تصورت . من الأفضل أن نذهب إلى سيارتي . . انها أكبر من هذه، ومريحة أكثر . .

ـ سأبقى هنا .

ـ لن تجادليني . . . ستبقين معي . . وأنا لن أبقى هنا . . لهذا تعالي . . أين معطفك ؟

ـ لم أرتدِ معطفاً . وأنا لن . . .

صاح بكلمات كلها غضب، بلسان لم تفهمه، فصمتت، فألمعنى واضح . . .

ـ آوه . . بلى . . ستخرجين . . .

فتح الباب واستدار إلى بابها ليفتحه كذلك :

ـ إلى الخارج . . . أرجوكِ .

ـ لا . . . أنا . . . .

انحنى داغ، ومد يده يقبض على ثيابها ويجرها إلى الخارج، ليس بخشونة، لكن بقوة لم تتمكن من مقاومتها .

ـ هل أحملك أم تسيري طائعة؟

انتزعت ذراعها منه :

ـ دعني وشأني . . دعني . . . فقط .

ـ أنت بحاجة إلى ضرب على قفاك . .

ـ ليس منك!

لكنها تراجعت أمام نظرته الشرسة .

ـ حسناً . . لقد أوضحت وجهة نظرك . . . سأسير إلى سيارتك . . أراهن انك تتمتع بالعراك مع الناس . . . .

ـ ليس بقدرك . . كيف تمكنت تلك القطة المتوحشة من خربشك سيبقى لغزاً لي! كان يجب أن . . . .

رد الفعل المتأخر لما جرى في المنزل . . البرد . . الهواء المليء بالرطوبة . . . الضباب الذي يحجب البصر . . غضبه . . اجتمع الكل على أعصابها، فأخذت ترتجف وانفجرت بالبكاء .

في لحظة، أحست بشيء دافيء يغمرها، وحملها بين ذراعيه ليسير بها بعيداً عن سيارتها، بعيداً عن المقلع، نحو الطريق الرئيسية، ولم تستطع

إيقاف الدموع . . ولم تحاول!

معطفه كان يلفها، وأحست بالدفء بين ذراعيه . وسمعته يقول :

ـ أنت مجرد طفلة . . ألست هكذا؟

لكنها لم تفهم ما يريد ان يقول، ليس في تلك اللحظة . اجلسها داخل السيارة وأدار جهاز التدفئة، ثم أسند ظهره إلى مقعده . . وقال ببطء :

ـ الآن . . بدأت تتعلمين .

مد لها بعض المناديل الورقية :

ـ انفخي أنفك، وجففي عينيك .

أطاعته . . فقال :

ـ والآن . . اخبريني شيئاً . أتعرفين أين نحن؟ أو إذا كان هناك منازل قريبة؟

هزت رأسها :

ـ لا .

ـ هذا ما ظننته . ولن أخرج لأفتش . . وهذا يعني شيء واحد، سنبقى هنا إلى أن يصبح من الأمان ان نتحرك . وإذا اضطررنا إلى النوم في السيارة معاً . فهذا ما سنفعل .

٩

هل أنت عمياء؟

بدأت ليوني تحس بالدفء . . فخلعت معطفه ببطء ووضعته بينهما على ظهر المقعد . وجلست ساكنة .

ثم فعل شيئاً أدهشها . . ابتسم وقال بهدوء :

ـ أظنك تعلمت أول درس لك .

ـ نعم؟

هز رأسه :

ـ توقفت عن المقاومة، أيتها القطة المتوحشة . وهذا جيد . . هل أنت جائعة؟

أصيبت بدهشة أكبر .

ـ قليلاً .

ـ هذا طبيعي، فقد حان الآن وقت العشاء . . هناك قليل من الشوكولا في جيب السيارة . . . هيا افتحيه . . كلي منه

فتحت اللفافة وكسرت قطعة . .

- ألن تأخذ قطعة؟

- فيما بعد . . والآن كليها على مهل . . ستساعدك بهذه الطريقة على الاحساس بالشبع . . هل تحسين بالعطش .

- لا . . ليس بعد . . . إذا لم أفكر بالعطش .

- إذن لا تفكري .

- قد يكون هناك ساقية . . أظن انني سمعت صوت ماء حين وصلت هنا .

- آه . . صحيح . . إذن سنخرج ونفتش معاً . . ومعي وعاء ماء بلاستيكي في الصندوق . . لا داعي للخوف .

- لست خائفة .

- بلى . . . خائفة ، وسبق أن قلت لك لا داعي للخوف مني .

- لا تكن أحمقاً! لست خائفة منك! أريد فقط أن أعود . . أتظن أنني انظر بشوق لقضاء ساعات معك لوحدنا؟ يا إلهي نحن لا نتفق في المنزل ، وهذا كبير ما يكفي . . .

- ولماذا تظني اننا لا نتفق؟

- الأمر بسيط . . نحن لا نحب بعضنا . . أليس كذلك؟ .

- لا . . هذا ما يبدو . . . الأمر صحيح .

- أليس الأفضل ان نخرج نفتش عن الماء قبل أن يصبح الطقس أكثر سوءاً في الخارج؟

- أظن هذا أفضل . . لكن قبل ان نعود إلى الشجار .

- لم أقصد هذا .

- آوه بلى . . كنت تقصدين . . ضعي معطفي على كتفيك ، فانا لا زلت دافئاً .

- فتحا البابين وخرجا معاً . وراقبته يفتح الصندوق ويأتي بوعاء الماء

ثم يقول :

- سيري في المقدمة .

بدأت السير :

- أظن الساقية هناك . . قبل مدخل المقلع مباشرة .

- الأمر مخيف . . انها لا ترى سيارتها حتى . . ولا سيارته بعد أن ابتعد عنها . . فتوقفت :

- لست أدري أين . . . .

- بضع خطوات إلى الأمام . تعالي .

سمعا صوت الماء تخرج من بين الصخور نحو الأرض لتتسرب إلى داخلها . أمسك داغ بالحاوية في زاوية محددة ليلتقط قطرات الماء ، وانتظرت ليوني بقربه تحاول جهدها ان لا ترتجف

- حسناً . . هذا يكفي . . تعالي . . أعرف طريق العودة ثم انني تركت أنوار السيارة مضاءة .

أمسك بذراعها وبدأ يسير بها ثانية .

داخل السيارة ، خلعت المعطف ثانية . . ومسح داغ شعره :

- كنا كمن يمشي تحت الماء ، أتريدين ان تشربي الآن؟

- لا . . . شكراً لك .

- صب بعض الماء في كوب بلاستيكي وأخذ يشرب الماء ببطء . . ولاحظت الطريقة التي يبتسم بها ، وفهمت لماذا تجده جدتها ودورين جذاباً . . بصمت قاومت الفكرة . لا تريد أن تعجب بشيء فيه . . تريد فقط ان تبتعد عنه!

- عما قليل سأضطر إلى إطفاء جهاز التدفئة لتوفير البطارية . . تفهمين هذا .

- أجل أفهم .

لكنها لم تفهم تماماً ما يعني . . الفهم الكامل جاء فيما بعد حين أخرج كتيباً من جيب السيارة الداخلي وأخذ يتصفحه .

ـ آه . . . ها هو . . إذن . . همم . . .

ـ ما الأمر . . ؟

ـ ستريـن

ـ وبدأ يتحسس جانب المقعد الخلفي ، وسمعت طقطقة . في هذه اللحظة ، فهمت وكاد الدم يجمد في عروقها ، وجف فمها :

ـ أظن انني سأشرب الآن .

ـ الكوب أمامك .

ابتلعت كل ما فيه . . . ثم نظر إليها :

ـ قلت لك ان هذه السيارة أكثر راحة .

تنحنحت !

ـ لكنك . . . لم تقل . . ان مقعدها الخلفي يتحول إلى فراش .

ـ أليس أفضل من الجلوس طوال الليل؟

ـ أنا لن . . لن أنام معك هنا .

ـ لن يكون جهاز التدفئة عاملاً . . والبرد شديد . . ليس أمامنا خيار كما أخشى . . ولم يكن المجيء إلى هنا فكرتي . . بل فكرتك .

معي بطانية واحدة ، تغطينا معاً لتدفئنا .

تنفست عميقاً :

ـ أنت لا تفهم . . .

ـ بل أنت التي لا تفهمين ليوني . . . أنا لا أفعل هذا لأجل أن أمرح . . انها مسألة حياة أو موت هنا في هذا الجبل . . .

سنبقى معاً ، وسننام معاً ، وسندفيء بعضنا بعضاً ، وسنبقى نائمين إلى ان يصبح السير آمناً للعودة إلى المنزل . . .

ـ لا!

ـ بلى . . . وستطيعيني . . ما كنت لأكون هنا لولا تصرفاتك الطائشة .

ـ لست أهتم!

مد يده وأطفأ جهاز التدفئة ، وبدأت السيارة تبرد على الفور .

ـ سنرى الآن كم ستشعرين بالدفء بعد دقائق . . بعدها قولي لي ماذا ستفعلين .

ـ سأجلس هنا في المقعد الأمامي . . .

ـ كما أنت؟ دون معطف . . دون بطانية؟ هل أمضيت الليل يوماً جالسة في سيارة في مثل هذه الحرارة؟

ـ لكن . . . ألا يمكن ان استخدم معطفك؟

ـ لا .

ـ حيوان!

ـ أجل . . ربما .

ـ أكرهك!

ـ لا! أنت لا تكرهيني . تظنين نفسك . . لكنك متشوشة . . أتشعرين بالبرد؟

ـ لا . . أنا بخير . . . لا تلمسني!

التقطت سترته ولفتها حولها كالبطانية :

ـ سأكون بخير هكذا .

ـ إنها لي . . ولن أعيرك شيئاً .

ـ انزعها عني لو تجرؤ!

هز رأسه .

ـ بلى أجرؤ . . . آوه أجل . . . أجرؤ . وسأفعل . . حين أريد .

لا تشكي في هذا أبداً ليوني . . والآن الخيار لك . . هل ستبقين

تحاولين الخصام معي، أم تمضي الساعات القادمة بتعقل؟ لدي بضع مجلات، وراديو. . وبإمكانك القراءة والاستماع إلى الموسيقى. . . ومن يعلم، ربما سيختفي الضباب سريعاً وتنتهي متاعبك .

ـ أجل. . من الأفضل ان أقرأ .

ـ جيد. . . أنت عاقلة. . . عن إذنك. . لن أتأخر .

خرج وأقفل الباب وراءه، سمعته يفتح الصندوق ثم يقفله فنظرت إلى المقعد الخلفي، كان منبسطاً، يبدو مريحاً. . وتثاءبت. . . ما من مجال للخلاص من هذا الواقع : كلاهما هنا. . وبسبب غلطة منها. . وتململت في المقعد. . ما من مجال للخلاص من الحقيقة .

ـ هاك. . اختاري ما شئت .

تسلل إلى المقعد، مدخلاً معه موجة هواء مثلج . . جعل الشعر في مؤخرة عنق ليوني يقف. . أدار الراديو، حرك الموجات إلى أن التقط الموسيقى، ونظرت ليوني إلى كومة المجلات التي وضعها أمامها .

ـ كلها فرنسية .

ـ عظيم. . ألا تعرفين الفرنسية؟

ـ بلى .

ـ إذن ستكون مثار اهتمام لك. أتتكلمين الفرنسية جيداً؟

ـ ليست بشكل سيء. . وأنت؟

ـ ضحك وقال بالفرنسية :

ـ بشكل جيد جداً. مون أنفان. . . ما رأيك؟

لهجته الفرنسية بلكنه رومانسية كانت جميلة. . . لكن كلمة (يا طفلتي) لم تعجبها، فردت بالفرنسية أيضاً :

ـ أنا لست «فوتر أنفان». . كما انك تتكلم جيداً. .

ـ «نيبا مال» بالنسبة لروماني!

بدأ يضحك .

ـ أجل. يعجبني هذا. . إذن أتكلم الفرنسية جيداً بالنسبة لروماني؟ وأنت كذلك. . بالنسبة لانكليزية .

لم ترد، بل فتحت مجلة وأخذت تقرأ، على الأقل وجدت شيئاً تفعله لتجنب حديث لا لزوم له. . حين لم تعد تطيق الصمت، قالت :

ـ جدتي ستقلق .

ـ أشك في هذا. لأنها تعلم انني معك .

ـ لكن . .

وصمتت تنظر إلى الخارج، تحس أن أملها يتلاشى بما تراه في الخارج. . فسألها .

ـ ماذا كنت ستقولي؟

ـ لا شيء. . لا يهم .

ـ كلي بعض الشوكولا إذا رغبت. . وما عليك سوى القول إذا أحسست بالعطش .

ـ شكراً لك .

ـ الساعة تقارب التاسعة. . لماذا لا تحاولين النوم قليلاً وسأبقى في المقعد الأمامي أقرأ قليلاً .

ـ بدا لها العرض معقولاً . . قد ينجلي الضباب، وقد يتحركان :

ـ أجل. . سأفعل. . ألن تبرد؟

ـ سأرتدي معطفي. والبطانية في الخلف .

ـ بقيت مشكلة بسيطة. . تنفست بصمت :

ـ آه. . يجب. . أن أخرج قليلاً . . .

ـ لن تفعلي شيئاً غبياً كالذهاب إلى سيارتك مثلاً؟

ـ لا. . أعدك .

- أبقي على مسافة قليلة من السيارة . . أتفهمين !

فتحت الباب وخرجت .

- لن أتأخر . . . .

عادت ليوني لتستلقي وتغطي نفسها بالبطانية . . كان قد أقفل الراديو وصب لنفسه بعض الماء . . من حيث تستلقي كانت ترى رأسه يرد النور الداخلي عنها . لكنها كانت تعلم انها لن تغفو حتى ولو حاولت، فالسيارة باردة . . وفي هذا معه حق . أغمضت عينيها محاولة التفكير بشيء . . . أي شيء ما عدا اللوحة التي ترسمها . . . هذه يجب ان تنهيها الآن في لندن . . لديها الآن ما يكفي لإكمالها . . الخلفية، صورة رائعة للقط المتوحش . . انها ترى في ذهنها كيف ستكون اللوحة النهائية . . وتراءت أمامها الألوان مختلطة بالضباب .

لم تعرف انها نامت إلا حين فتحت عينيها وأحست بالصمت يملأ السيارة . . أحست كذلك بالدفء، دفء شديد . . والراحة . . لكن . . أين داغ؟ تحركت قليلاً . . ثم عرفت . وللحظات مريعة لم تستطع التنفس . كان مستلقياً خلفها الثقل على خصرها كان ثقل ذراعه، والبطانية تغطيهما معاً . . وكان نائماً . لم يكن هناك نور، لا شيء اطلاقاً تستطيع رؤية شيء من خلاله . . لم تكن تدري مطلقاً ان الظلمة يمكن أن تكون حالكة هكذا . لم تعرف كم نامت، أو منذ متى وهو ينام معها . كل ما عرفته إحساس بأنها مغلفة ساكنة في مكان دافيء آمن بعيد عن عالم الضباب والظلمة في الخارج . . مع إحساس بالرضى والقناعة .

تحركت لمعاناتها ألم المعرفة، فسمعت تمتمته . وعادت إلى الهدوء . ثم أحسته يتحرك، وعرفت قبل أن يتكلم انه استفاق .

- هل ناديتني حبيبتي؟

حبيبتي ! هل دعاها حبيبته؟ أم انه ظن نفسه مع امرأة أخرى؟ أيها

الكاذب ! وأجابت :

- استيقظت وأنا أتساءل كم الساعة الآن .

أحست به يتحرك . ثم مال من فوقها ليضيء نور السيارة :

- إنها الواحدة والربع . سأخرج لأرى إذا كان الوضع قد تحسن .

عاد بعد قليل إلى جانبها :

- آسف عزيزتي . . لم يتحسن شي أتحسين بالبرد؟

- لا بأس . . . كنت دافئة وأنا نائمة .

- عودي إذن للنوم، وستدفئين من ثانية . . هذا ما قلته لك من قبل، ولم تصدقيني . . .

- لا حاجة لأن تقول «قلت لك هذا» كنت محقاً .

- ارتاحي إذن . . لا بد انك تعرفين الآن إنك آمنة معي .

- طبعاً أعرف . . آوه . . ! آوه . . دعني وشأني!

سحب يديها عن وجهها .

- يا إلهي، ألا يمكن لأحد أن يفعل أي شيء مناسب معك؟ أتفضلين أن أنام في الصندوق؟ هل سترضين عندها؟

نظرت إليه عاجزة . . ثم جذبت يديها منه وقد أغشت الدموع عينيها، وضربته بيدها المربوطة . . فعاد يمسك بها ويشدها نحوه ويهزها :

- قلت لك لا تفعلي هذا ثانية . . أيتها . . .

لم تعلم بماذا كان سيدعوها، فقد بدأت تقاوم بشراسة . فجأة أحست بالعجز أمام قبضة الفولاذ . . وأحست بالخوف . .

- والآن أيتها القطة المتوحشة . تخلصي من قبضتي لو استطعت .

علمت انه سيعانقها . . وأحست بأثارة متوحشة . . . وأدركت انها، ودون وعي منها، كانت تنتظر هذا منذ وقت طويل . .

ـ لكنه فجأة ابتعد، وتركها. . ثم انحنى واضعاً رأسه بين يديه. . وتآوه. . مدت يدها تلمسه، كل مشاعرها تحس به.

وسمعته يتمتم :

ـ لأجل الله ليوني لا تلمسيني .

ـ أبعدت يدها عنه مرتبكة .

ـ داغ . . . قل لي. .

ـ ألا تعرفين؟ هل أنت عمياء؟ لقد كدت. . .

ـ أحست بالغثيان، تعرف تماماً ما كان سيحدث. . وان هذا غلطتها بالكامل لو حدث. وعرفت انه يكرهها. . بشهقة مخنوقة، ابتعدت عنه تفتح الباب وتخرج إلى الظلمة. ابتعدت متعثرة عن السيارة. . وسمعته يصيح طالباً عودتها. . لكنها لم ترد. . وتعثرت بصخرة، ثم سمعت وقع أقدامه، وانحنى ليلتقطها .

ـ أيتها الحمقاء! ستقتلين نفسك يوماً بعنادك هذا!!

ـ دعني وشأني. . أريد الابتعاد عنك .

لكنها تركته يعيدها إلى السيارة، كانت تكاد تتجمد ترتجف حتى العظام، وقد تلاشت كل قدرة لها على المقاومة . أدخلها السيارة، جعلها تستلقي وأخذ يفرك لها ذراعيها . . . أخذت تسعل. . رأسها يؤلمها وأحست إنها مريضة :

ـ إبقي هنا مرتاحة . . . سأجلس في المقعد الأمامي .

ـ لا لم أعد استطيع النوم .

تنهد .

ـ حسناً. . سأدير الراديو. . حال ان يجلو الضباب سنعود إلى المنزل .

ربما في هذا المنظار يرى منزل عائلة وايلد. . بكل قوة إرادة لها

حاولت إبعاد ما حصل الآن عن رأسها. . لكنها لم تستطع. وعلمت انها لن تمكن من هذا أبداً. . حال أن تتمكن يجب أن ترحل. . يجب ان لا ترى داغ مجدداً .

١٠

سأروضك!

ورحلت . . دون أي ضجيج . . صباح الاثنين، كانت تقود سيارتها دون توقف حتى وصلت لندن . والآن هو يوم الثلاثاء، واتصلت بالمكتب لتتحدث إلى لوسي وتخبرها بعودتها .

- وصلت اللوحة . . ولقد شاهدتها!

- من شاهدها؟

- يا عزيزتي : مارغريت آشتون . . . المؤلفة الأكبر التي تحقق أفضل المبيعات . . ومن غيرها .

- لكن . .

- دون لكن حبيبتي . . . اسمعي . تريد أن تعرف لماذا كنا نخبىء مثل هذه الفنانة الممتازة عنها . وتصرّ ان ترسمي لها غلاف قصتها القادمة . وهي قصة كلنا نعرف انها ستكون من بين أفضل المبيعات، وهذا أمر مضمون .

- آوه! لا أصدق هذا!

- الأفضل ان تصدقي . فهي تريد مقابلتك . ستتناول العشاء مع الريس اليوم . . لذا إذا أتيت حوالي الثالثة بعد الظهر، بأفضل حلة لديك . . .

- لكنني أعمل الآن على رسم غلاف «القطة المتوحشة» ولا استطيع . . .

- بلى . . . تستطيعي . . بالنسبة لها تستطيعي .

- آوه . . صعب علي العمل في الوقت الحاضر . . عدت لتوي من الريف الشمالي، والشقة قذرة، وأنت تعرفين لم يتعبني ايريس وريتشارد . . . هناك دائماً مجموعة من الأصدقاء هنا و . . . .

- أعرف ما تعنين . . . وكم أتمنى ان تكون لي نفس مشكلتك . . . أعني كل هؤلاء الشبان و . . .

- ولهذا أجد صعوبة في العمل .

- إذن إرحلي .

- إلى أين؟

- إلى كوخ عمتي في تلال تشلترن . لا تبعد كثيراً عن لندن . . ولا بد تذكرين الكوخ، لقد أمضينا معاً فيه نهاية أسبوع رائعة .

وعمتي تزور الآن ابناء عم لها في أوستراليا . . ولن تعود قبل أسبوعين، والكوخ بحاجة إلى تهوئة .

- لكنني لا استطيع الذهاب . .

قاطعتها لوسي بحزم :

- سأعطيك المفتاح حين أراك بعد الظهر . . الديك شيء تقولينه قبل أن أقفل الهاتف؟

- أظنك قلت كل شيء، سأحضر في الوقت المحدد . باي .

وقفت تحدق في وجهها في المرآة وتلاحظ الظلال السوداء حولها،

وشحوب وجهها . . سأذهب إلى تشلترن . وسأنام يوماً كاملاً . . بعدها سأعمل . . ما ان اتخذت القرار حتى أحست انها أفضل حالاً . . . وهذا يكفي في الوقت الحاضر .

ـ لم تخبر أخويها إلى أين هي ذاهبة . . . وابتعدت عن لندن سعيدة لمعرفتها أن لا أحد يعرف مكانها سوى لوسي . كان اللقاء مع الكاتبة المشهورة ناجحاً، ما عدا شيء واحد، فقد أصرت على رسم بطل يشابه الرسم الأول، وما تبقى ليوني حرة فيه . . . لكن مارغريت آشتون تريد نسخة طبق الأصل لصورة الرجل «الأسمى من طبقة البشر» كما قالت، على غلاف كتابها الجديد . . . وبدا لليوني أن هناك مؤامرة من نوع ما لمنعها من نسيان داغ . ربما لو رسمته ثانية، قد تتمكن من إخراجه من تفكيرها وتجسيده فقط على القماش .

ـ قادت سيارتها بحذر في تجمع الغسق المسائي لأمسية الثلاثاء . وبدأت تتطلع قدماً لرؤية الكوخ . انه مكان صغير وهادىء، يقع في نهاية طريق ريفية ضيقة ملتوية، تحيط به الأشجار، مكان مثالي للرسم في هدوء . . أما عزلته، فهي لن تزعجها، فعمة لوسي تعيش هناك منذ سنوات طويلة دون ان يزعجها شيء . . وللكوخ جو مريح وأقفال مناسبة جداً .

ما أن أوقفت السيارة أمام الكوخ . . وفتحت حتى لحق بها كلب يترنح أوجست خيفة منه في البداية . . لكنه سرعان ما أخذ يتودد إليها . . فابتسمت تقول :

لا بد انك ضائع . . أصبحنا اثنان ضائعان . . هيا . . ادخل لأقدم لك بعض الطعام .

ـ ما هي إلا خمس دقائق حتى كانت المدفئة الكهربائية تعمل والكلب مستلق على بساط صغير أمامها . . . لم يكن مع ليوني ما يناسب طعاماً

لكلب سوى قطعة لحم كانت تنوي طهيها لأول وجبة طعام لها . نظرت إليها وقالت بصوت مرتفع :

ـ أتعلمين ليوني . . يبدو أن الأفضل لك أن تأكلي البيض المقلي .

ثم أخذت تقطع اللحم قطعاً صغيرة، ثم قدمتها للكلب .

ـ أنا رقيقة القلب، أتعلم هذا؟

وأخذ الكلب يزدردها بنهم، ووجدت له إناء ملأته بالماء . . . ثم بدأت تحضر عشاءها .

عند الساعة العاشرة توجهت إلى الفراش لتنام وهي تحس بالارهاق . حين استيقظت في الصباح أحست بثقل على قدميها . . وجلس الكلب في نفس اللحظة ليطلق نباحاً خفيفاً مرحاً . فضحكت : يبدو انني التزمت بك! وسأدعوك بوب . . أوكي؟

أمال بوب رأسه إلى جانب ورفع أذنيه وكأنه يوافق . . ثم رافقها إلى المطبخ لتحضر الفطار له ولها .

اليوم هو الأربعاء . . وها هي تجلس أمام موقد فحم حجري متوهج، والكلب عند قدميها تفكر بالحياة، والرسم، والكلاب والقطط المتوحشة، وتلاعب الأقدار . . لكنها لم تفكر بداغ . . ثم تنهدت تفكر بغلاف الكتاب المكلفة برسمه . ستبدأ العمل في الغد . . غداً عند التاسعة صباحاً . سترتدي مريلتها . تحضر الحمالة، وتبدأ الرسم .

ـ أتسمعني بوب . . غداً ستبدأ العمل .

كان حقاً الرفيق المناسب لها . . يستمع إلى ما تقول بصمت ويوافق معها بهزة من ذنبه، وكأنها لا يمكن أن تخطىء أبداً .

تركت ليوني اللوحة على الحمالة وتوجهت إلى النافذة تحرك أصابعها . لقد أصبحت الساعة حوالي الثانية عشرة وهي تعمل الآن منذ ثلاث

ساعات تقريباً، كما وعدت نفسها، ولو أن البداية كانت بطيئة، إلا انها على الأقل قد ابتدأت. وهذا هو المهم، ستحتاج إلى فترة راحة، تمشية صغيرة قبل الغداء ستجعلها تسترخي.

نظرت إلى بوب المستغرق في النوم أمام المدفئة، والذي عاد مؤخراً من الخارج... وابتسمت. خلعت مريلتها... وخرجت تأخذ معطفها من خلف باب المطبخ وهي خارجة.

كان يوماً خريفياً مثلجاً، لكنه يوم مثالي لها للتفكير.. ولقد فكرت أكثر مما يكفي خلال الأيام الأخيرة.. لكنها لم تفكر مرة بالرجل الذي تحب.. أجل.. انها تعرف هذا الآن.. انها تحبه كما لم تحب من قبل. بطريقة، غامرة، مؤلمة لم تعد تستطيع إخفاءها. هنا، في هذا المحيط الريفي، حيث لا شيء يلهيها، ما من مخلوق حي يشغل أفكارها، وهي تسير فوق الأرض المليئة بالعشب والأوراق المتساقطة... كانت تواجه نفسها لأول مرة، منذ زمن بعيد.. ولم يعجبها ما رأت.

كان الإذلال الأكبر لها حين نبذها.. فهذا الأمر لا زال يؤلمها، ولا تتحمل حتى التفكير به. نظرت إلى السماء ولاحظت بداية تجمع السحب استعداداً للمطر.. لقد آن لها ان ترجع.. وتتناول الغداء، ثم تكمل لوحتها.. بعد بضعة أيام ستكتب إلى جدتها، رسالة مطولة، تحاول فيها ان تشرح أسباب رحيلها المفاجيء... وتطلب الصفح، وقريباً ستعود إلى زيارتها، لكن بعد أن تتأكد من رحيل داغ. هذا هو الأهم. رفعت ياقة المعطف، وعادت أدراجها إلى الكوخ.

كان الكوخ في انتظارها وأمامه سيارة سوداء جديدة... أهي عمة لوسي؟ سارعت ليوني خطواتها.. ما يمكن للعمة ان تظن لو عادت إلى منزلها لتجد وعاء الطبخ على النار، وكلب غريب يرتاح على البساط في المطبخ؟ حتى انها ركضت آخر أمتار لها، وفتحت الباب لتدخل رأساً إلى

غرفة الجلوس لترى أن بوب جاثم أمام رجل يربت رأسه وهو جالس على الأريكة.

انه داغ... ! داغ الذي وقف على قدميه...

وقال :

ـ ليوني !

وتقدم نحوها

ـ ليوني....

واندفعت إليه، إلى ذراعيه.. فهذا هو الشيء الوحيد الذي كانت ترغب في ان تفعله.. المكان الوحيد الذي تريد ان تكون فيه.

ضمها بقوة... وتنهد عميقاً.. ثم قال ثانية :

ـ ليوني.. آه... ليوني.

في صوته كل شيء كانت تريد معرفته، وتعانقا، ثم تراجع قليلاً إلى الوراء لينظر إليها مبتسماً، لم تعد عيناه قاتمتان قاسيتان، بل لطيفتان رقيقتان بالحب.

ـ الأفضل ان تجلسي.. سأضع القهوة. بعها سنتكلم.

ـ أنا...

وصمتت، ثم ابتسمت.

ـ أجل داغ. لكن أتعرف أين تجد القهوة؟

ـ سأجدها.. لقد وضعت الابريق على نار خفيفة أشم رائحة الطعام.. هل سيكون ما يكفي منه لنا معاً؟

ضحكت :

ـ طبعاً... لكن..

ورفعت يدها إلى فمها :

ـ أجلسي وتحدثي مع كلبك.. انه لك، أليس كذلك؟

- انه لي الآن .

- همم . . . . اتساءل كيف سيتعامل مع القطط المتوحشة؟

تركها ودخل المطبخ . . لكنها وقفت له بالباب :

- داغ . . . . أنا أسفة . . . لكنني لا أفهم ما تعني . . .

- أظنني قلت لك ان تجلسي .

رفعت يدها إلى رأسها :

- آوه . . أجل . . أجل . . سأفعل . . لكن . . لا يمكن لك أن تصل هكذا، تضمني، تعانقني، وتقول ما قلت، وتتوقع مني ان أتقبل كل هذا بطاعة . . وأجلس . . .

- إفعلي ما قلت .

- فتح علبة القهوة الجاهزة، ووضع ملعقتين في كل فنجان من التي أمامه وحركها :

- تعالي .

جلسا على الأريكة معاً . . وانضم بوب إليهما . . . الذي يبدو انه تقبّل وجود داغ كصديق قديم، واعطاها داغ القهوة .

- اتصلت بالمكتب وتحدثت إلى لوسي انها صديقتك، أليس كذلك .

ارتشفت القهوة :

- أجل .

- رفضت بداية ان تعطيني عنوانك . فذهبت إلى المكتب لمقابلتها . . عندها قالت لي .

- وابتسم ببطء . . فازدادت البسمة على وجهه ليوني وسعاً :

- أراهن على هذا!

- وها أناذا . واعتقد انك تريدين معرفة السبب؟

- وهل ستقول لي؟

- آه . . . دون سخرية، أو سأضربك .

- الآن أم فيما بعد؟

- ضحك داغ، وأخذ فنجانها منها ليضعه على الطاولة الصغيرة وعانقها بشدة!

- سأفكر بهذا . . . جئت إلى هنا لأن جدتك قلقت عليك . . ولأنني قررت . . انني أحبك .

- آوه . . . . !

- أهذا كل ما باستطاعتك قوله؟

- لست أدري . . آوه داغ . . أنا أحلم!

- ربما . . لكن لو كنت تحلمين فأنا أشاركك الحلم . . فلا بأس بهذا إذن . استأجرت سيارة في لندن وجئت إلى هنا رأساً . أتقيمين هنا لوحدك؟

- أجل .

- لا . . لست لوحدك، أو لم تعودي لوحدك . . إما ان أبقى معك هنا، أو تعودي معي إلى الشمال . وبوب طبعاً . . وسنتزوج لنعيش في منزل عائلة وايلد . سأشتريه من جدتك . . أتحاولين قول شيء؟

- هزت رأسها وقد تمنعت الكلمات عن التكوين في رأسها :

- لا . . . .

- جيد . . . لقد كفاك ثرثرة . . . كفاك اعطاء الأوامر . . لقد حان دوري الآن . على كل حال، يجب على أحد أن يعتني بالقطط . . . . وقد ينتهي بنا الأمر لإنشاء ملجأ للحيوانات . . . من يعلم؟ هذا إضافة إلى الرسم والعناية بالأولاد . . . . و

- لكنني . . .

- وصمتت .

- نعم؟ أترغبين في الكلام؟ كي لا توافقي ربما؟ أظنك تعلمت درسك الآن؟ كنت أعرف .

هزت رأسها :

- أظن هذا . لكن ماذا تعرف؟

- أعرف انك تحبيني . ولو لم أكن أعرف لكان قيل لي .

- من سيقول لك!

- جدتك . لقد لاحظت هذا . ولاحظت ما كنت لا أعترف به لنفسي . . انني أحبك أيضاً .

- ورمى رأسه إلى الوراء بضحكة مجلجلة دفعت بوب أن يرفع رأسه وينبح . . فقالت :

- أهدأ يا بوب . . لم يجن بعد انه بخير . . لكن ماذا عن مدام برايانت!

- ماذا عنها؟ انها شريكتي في العمل ، ليس أكثر .

- آوه عزيزتي . . . لا ذوق لي مع الشقراوات الباردات . . . تعجبني كشريكة عمل ماهرة لا أكثر . أكنت تغارين!

- آه . . قليلاً .

- أردتك لحظة شاهدتك . . أتذكرين؟ . . لقد أردتك وأنا أحصل دائماً على ما أريد .

- دائماً؟

- أجل دائماً . . لكنك كنت كإحدى القطط المتوحشة اللواتي تبنيناهن . . . دائماً مستعدة للعراك ، بارزة البراثن . كنت تحدياً لي . وقررت ان أروضك .

تنهدت ، تنهيدة سعادة .

- لقد نجحت إذن . . آوه كم أحبك!

- حين طلبت مني المجيء إلى هنا ، قالت انها أصلاً دعتنا معاً لسبب هام .

- أتعني انها كانت تقوم بدور «الخاطبة» يا للمرأة الخبيثة!

ضحك :

- ونجحت . ونحن مدينان لها . ومن أجلها أعمل أي شيء . أحبها تماماً كما تحبينها أنت . . أتفهمين هذا حبيبتي!

- طبعاً . . كنت غبية من قبل . . لكنني كبرت كثيراً خلال الأيام الماضية . صدقني داغ .

- يعجبني هذا . . . أجل . . والآن فلنتناول الغداء .

- حضري المائدة بينما اتصل بالجدة لأقول لها ..هيا إلى العمل يا امرأة .

- لحق بها بوب إلى المطبخ ، وجلس قرب الباب ، يهز ذنبه ، وتساءلت هل سيتوافق مع القطط المتوحشة؟

الحياة أمامها سيكون فيها بعض المشاكل . . لكنها ستتدبر أمرها . . وستفعل هذا دائماً . . معاً . نظرت إلى خارج النافذة إلى المطر الذي بدأ ينهمر . . وعاودتها ذكر حلمها القديم . . الحلم ، حيث هي في غرفة مع رجل تبين لها أخيراً انه داغ . والآن ، على الأقل ، أصبحت تعرف معناه . . كانت تنتظره طوال حياتها . . ولقد انتهى زمن الانتظار . . استدارت لتسير إليه وهو يدخل المطبخ ، ليحيطها بذراعيه .

- حلمي . . كان لك .

ابتسم لها :

- أعرف . . لكن كان عليك اكتشاف هذا بنفسك يا قطتي المتوحشة ، الصغيرة الأليفة .

وضحكت :

- أجل هذا ما أنا . . .